8 ماي 1945 قالمة

كلة الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

تخصص علاقات دولية ودراسات أمنية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية

الموضوع :

الجيوبولتيك الروسي ما بعد الحرب الباردة : الاستراتيجية الروسية اتجاه القوقاز.

إعداد الطالبتين:

البشير الحسين منينة .

بن خلاف حنان.

إشراف :

الدكتور : زغوني رابح

تشكيل لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الجامعة	الصفة
1	د.زغوني رابح	8 ماي 1945 قالمة	مشرفا
2	أ.شرايطة	8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
3	أ.مزيان رياض	8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية : 2015–2016

خطة الدراسة

مقدمة

الفصل الأول : في الانتقال من الجيوبولتيك السوفييتي إلى الجيوبولتيك الروسي.

المبحث الأول :في مفهوم الجيوبوتيك وأهميته.

المطلب الأول :تعريف الجيوبولتيك وعلاقته بالمفاهيم القريبة.

المطلب الثاني: أهمية الجيوبولتيك.

المطلب الثالث : تطور الدراسات الجيوبولتكية.

المبحث الثاني: الجيوبولتيك السوفييتي قبل نهاية الحرب الباردة: بين الايديولوجية والمصلحة.

المطلب الاول: السعي السوفيتي الدائم للوصول الى المياه الدافئة.

المطلب الثاني: التوسع السوفيتي بغية الحصول على اراض جديدة.

المطلب الثالث: التوغل الاقليمي لنشر الايديولوجية الماركسية والتبشير بالمجتمع الشيوعي.

المبحث الثالث: الجيوبولتيك الروسي بعد نهاية الحرب الباردة: أي انتقال؟.

المطلب الاول :السعي الروسي للوصول الى المياه الدافئة.

المطلب الثاني: الهيمنة الروسية على سوق الطاقة العالمي.

المطلب الثالث : السعي إلى تعزيز النفوذ الروسي في الفضاء السياسي للاتحاد السوفييتي السابق.

الفصل الثاني:القوقاز في الجيويولتيك الروسي لما بعد الحرب البـــاردة: الفـــرص والتحديات.

المبحث الأول: في التعريف بمنطقة القوقاز وأهميتها الجيوبولتكية.

المطلب الأول : التعريف بالقوقاز ودوله المستقلة عن الاتحاد السوفييتي.

المطلب الثاني : الأهمية الجيوبولتيكية للقوقاز.

المطلب الثالث : طبيعة الاهتمام الروسي المستمر بالقوقاز.

الميحث الثاني: اهمية منطقة القوقاز بالنسبة لروسيا.

المطلب الأول: القوقاز معبر روسيا للظفر بالمياه الدافئة.

المطلب الثاني : السعي الروسي للسيطرة على شبكات نقل الطاقة البديلة العابرة للقوقاز.

المطلب الثالث : استعادة دور روسيا في المنطقة.

المبحث الثالث : جورجيا كلاعب استراتيجي في القوقاز.

المطلب الاول : التعريف بجورجيا.

المطلب الثاني : الأهمية الجيوبولتيكية لجورجيا ضمن القوقاز.

المطلب : الخصائص الجيوستراتيجية لجورجيا.

الفصل الثالث : الاستراتيجية الروسية لمنطقة القوقاز بعد نهاية الحرب الباردة.

المبحث الأول : أهداف الاستراتيجية الروسية ووسائلها.

المطلب الأول : أهداف الاستراتيجية الروسية.

مقدمة

1/ التعريف بالموضوع:

تشكل النظام الدولي إبان فترة الحرب الباردة –من حيث البنية– من قطبين متنافسين كانا يمثلان محركا للسياسة الدولية لفترة تفوق نصف القرن، وقد تميزت هذه الحقبة باشتداد سياسة التحالفات، حيث سعى كل قطب إلى ضم أكبر عدد من الدول التي تدور في فلكه بهدف خلق عمق استراتيجي وكذا تطويق القطب المعادي. لكن مع تفكك الاتحاد السوفييتي، تغيرت بنية النظام الدولي من الثنائية إلى الأحادية القطبية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تمخض عن هذا التغير البنيوي بروز العديد من الفراغات الاستراتيجية خاصة في المجالات الجيوبولتكية التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي سابقا.

كان من نتائج تفكك الاتحاد السوفييتي، بروز روسيا الاتحادية كقوة بدبلة، والتي كانت تمثل المركز الذي يدور حوله الأطراف وهم أربعة عشر جمهورية. لقد ورثت روسيا الاتحادية مكانة الاتحاد السوفيتي على مستوى هيئة الأمم المتحدة كعضو دائم في مجلس الأمن، لكنها ورثت كذلك مكامن ضعف الاتحاد السوفيتي خاصة المصاعب الاقتصادية، النزعات القومية والعرقية والمطالب بالاستقلال عن الاتحاد الروسي. أما بقية الجمهوريات المستقلة فلم تكن أفضل حال من روسيا، بحيث لم تكن مهيأة للاستقلال نظرا لارتباطها السيكولوجي والبيروقراطي بروسيا والذي دام أكثر من قرن ونصف، فضلا عن فقدانها للتجربة السياسية وكذا البنى التحتية التي تقوم عليها الدول.

ربما لم يعرف التاريخ دولة كروسيا فتنت بالتوسع الجغرافي والتمدد الجيوسياسي للأجل التأسيس والحفاظ علة مكانتها دولية كقوى كبرى عبر التاريخ . فهذه الدولة بدلت حدودها عدة مرات خلال الألف سنة الماضية، ففي كل مرة كانت روسيا تتقدم إلى مناطق أكثر عمقا وتتماس مع شعوب وحضارات مختلفة. واليوم مثل الأمس، تسعى روسيا إلى الحفاظ على مركزها التقليدي كقوة كبرى، كما أنها لا تزال مستمرة في سعيها التاريخي للوصول إلى المياه الدافئة عبر المناطق المتاخمة.

بعد نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفييتي، مثل إقليم القوقاز المستقل أحد أهـــم هذه المناطق لتحقيق الأهداف الروسية، خاصة وأنه يتميز بخصائص جيوبولتيكية هامة تميـــزه عن باقي المناطق التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي وحتى التي لا تزال تابعة لروسيا الآن. هذا التميز الجيوبولتيكي جعل روسيا تهتم بإقليم القوقاز الجنوبي بدوله الثلاث (جورجيا ،أذربيجـــان وأرمينيا)، وتؤكد شواهد التاريخ على محاولاتها للسيطرة في هذه المنطقة، كما يؤكد الواقـــع أن محاولاتها لا تزال قامة للهيمنة هناك حتى بعد استقلال دول المنطقة، لأجل مصالح جيوسياسية ومصالح جيواقتصادية متشابكة.

وبالرغم من المشاكل الداخلية التي ورثتها روسيا عن المنظومة الاشتراكية، تسعى القيادة الروسية الى انتهاز كافة الفرص المتاحة والتي تسمح لها باسترجاع مكانتها علـــى الصـــعيدين الإقليمي والعالمي، خاصة وهي قد أدركت أن مكانتها لا يمكن استرجاعها إلا من خلال تـــدعيم نفوذها في المجال السوفيتي بصفة عامة والقوقاز المستقل بصورة خاصة.

2/أهمية الدراسة:

أ- الأهمية العلمية:

تتعلق الدراسة من الناحية العملية بمعالجة الإستراتيجية الروسية كإحدى القوى الكبـــرى التي كانت لها دور كبير في العلاقات الدولية سواء فـــي العهـــد القيصـــري أو الســـوفيتتي أو الإتحادي، و نظرا لأن الشأن الروسي قد أصبح يجلب اهتمام الباحثين الممارسين علـــى حـــد سواء ، فإن هذه الدراسة من شانها أن تبين المرتكزات التي تبنى عليها الإستراتيجية الروســـية اتجاه إحدى أهم الدول المستقلة عن الإتحاد السوفييتي وهي أرمينيا، جورجيا أذربيجان "القوقاز الجنوبي".

ب-الأهمية العملية:

تكمن أهمية الموضوع محل الدراسة في كونه يركز على مجال مهـــم لـــدى بـــاحثي ودارسي العلاقات الدولية ، وهو مجال الجيوبوليتيك وإستراتيجية الدول الكبرى، حيث أن تتبـــع

استراتيجيات هذه الدول يساعدنا على فهم و تفسير مجريات الأحداث في الساحة الدولية. وهــذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن أحد توجهات استراتيجية إحدى القــوى الكبــرى تجــاه مجــال جيوبوليتيكي كان تابعا لها في السابق، وبما أن روسيا إحدى القوى الكبرى في النظام الدولي، فإنه سيساعدنا على تحديد استراتيجيتها اتجاه إقليم القوقاز وفهم حقيقــة دوافــع هــذا التوجــه والأهداف المرجوة منه، كما سيساعدنا أيضا على توضيح طريقة التعامل الروســي مــع هــذه المنطقة.

3/ أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة تحقيق جملة من الأهداف العلمية والعملية كما يلي:

- توضيح طبيعة الإستراتيجية في الروسية تجاه منطقة القوقاز والأهداف الجيوسياســية والجيواقتصادية المرتبطة باهتمامها بالمنطقة.

-أسباب التنافس الروسي الغربي على المنطقة وتضارب استراتجياتهما حولها، سواء ما تعلق بخطوط نقل الطاقة أو قضية أوسيتيا الجنوبية.

- محاولة إبراز أوجه الشبه والاختلاف بين الرؤى الجيوبولتكية السوفييتية والروســية تجاه في أوراسيا والرؤية للنظام الدولي على العوم.

- محاولة الإسهام بتغطية منطقة جيوبولتكية لا تحض في الغالب بالاهتمام الكافي لــدى دارسي السياسة الخارجية الروسية وهي منطقة القوقاز الجنوبي.

4-أسباب اختيار الموضوع:

أ- مبررات موضوعية:

يكمن السبب وراء اختيار هذا الموضوع في قلة التطرق إليه بشكل كبير بين البــاحثين المهتمين بالإستراتجية الروسية خاصة في الكتابات باللغة العربية، الذين غالبا ما تتجه أبحــاثهم حول تلك الأقاليم الجيوبولتكية التي تعد الأكثر حسما في الإستراتجية الروسية العالمية، مثل أسيا

الوسطى، أوربا الشرقية والشرق الأوسط. إضافة إلى ذلك، فإن هذا الموضوع يتعلق بالإستراتيجية الجديدة التي تبنتها روسيا بعد الحرب الباردة ومن هنا ظهر الدافع إلى دراسة هذا الموضوع وهو معرفة الاستراتيجية الروسية ومسارات قوتها خصوصا في منطقة القوقاز.

ب- المبررات الذاتية:

جاء اختيارنا لهذا الموضوع من واقع ميولنا واهتمامنا بروسيا كقوة كبرى واستراتيجياتها تجاه الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفييتي خاصة منطقة القوقاز، وذلك لأهميتها الجيوبولتيكية سعيا لمعرفة أهدافها الجديدة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

5-إشكالية الدراسة :

ما طبيعة الأهداف الجيوبولتكية لروسيا في إقليم القوقاز المستقل، وما إستراتجيتها لتحقيقها؟

ونسعى ضمن الإشكالية للإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

1-ما طبيعة التغير في الجيوبولتيك الروسي في الفترة الانتقالية لما بعد الحرب الباردة مقارنة بمرحلة الاتحاد السوفيتي؟

2- فيما تكمن أهمية القوقاز المستقل بالنسبة لروسيا؟

3-ما هي أسباب التنافس الروسي لبسط النفوذ في إقليم القوقاز المستقل وما تداعياته؟

6-الفرضيات:

للإجابة على الإشكالية قمنا بصياغة الفرضيات التالية:

1- المصالح الروسية في القوقاز المستقل، تتعلق بالبحث التقليدي لروسيا عن موطئ قدم في المياه الدافئة.

2- نظرة موسكو لإقليم القوقاز كحديقة خلفية للمصالح الروسية، يعكس انشغال روسيا بمقاومة المساعي الأمريكية لاحتواء روسيا من الجنوب.

3- طبيعة اهتمام روسيا بدول إقليم القوقاز المستقل، يرتبط بمحاولة موسكو الحفاظ على موروثها التاريخي في المنطقة، وخاصة حماية الأقليات الروسية هناك.

7- تبرير الخطة :

اعتمدنا في هذه الدراسة خطة تتكون من ثلاث فصول، حيث تناولنا في الفصل الأول التعريف بالجيوبولتيك وعلاقته ببعض المفاهيم القريبة، كما أبرزنا أهميتها. أما في المبحث الثاني والثالث فقد أشرنا إلى الانتقال من الجيوبولتيك السوفييتي إلى الجيوبولتيك الروسي.

وتطرقنا في الفصل الثاني إلى منطقة القوقاز معرفين إياها بدولها الثلاث (جورجيا، أذربيجان، أرمينيا) وأهميتها الجيوبولتيكية بالنسبة لروسيا، موضحين الأسباب التي تجعل هذه المنطقة محورا رئيسيا في التوجهات الإستراتيجية لروسيا.و في المبحث الثالث قمنا بتسليط الضوء على إحدى دول القوقاز المستقلة وهي جورجيا كونها لاعب استراتيجي في المنطقة.

أما الفصل الأخير فقد عالجنا فيه الاستراتيجية الروسية لمنطقة القوقاز بعد نهاية الحرب الباردة متطرقين إلى أهدافها ووسائلها. وفي المبحث الثاني حاولنا توضيح الأسباب من وراء التدخل الروسي في القوقاز. أما المبحث الثالث والأخير فخصصناه كدراسة تقييمية لتوجهات الإستراتيجية الروسية، تحدثنا عن مدركات التهديد بالنسبة لروسيا في فترة ما بعد الحرب الباردة، وكذلك أوضحنا الفروق ما بين الإستراتيجية السوفييتية والإستراتيجية الروسية.

8-المقاربة المنهجية :

اعتمدنا في بحثنا هذا على منهجية لمعالجة موضوع الدراسة :

1- تم استخدام **المنهج التاريخي** كونه يعتمد على تدوين الأحداث الماضية وتتمثل وظائفه في التفسير و اعتباره قاعدة للتنبؤ، وهو أمر مهم في أي بحث علمي ضمن جميع

المجالات البحثية سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، التي لا يمكن أن تفهم بشكل واضح دون الرجوع إلى المنهج التاريخي، بالإضافة إلى كون موضع دراستنا له جذور تاريخية تستدعى توظيف هذا المنهج من أجل معرفة مجمل المراحل التي مر بها الجبوبوليتيك الروسي.

2- كما استخدمنا **المنهج المقارن:** من خلال مقارنة الاستراتجية الروسية بين مرحلتي ما قبل وما بعد الحرب الباردة، وتبيان الفروق وكذلك نقاط التقاطع في التعامل مع القضايا والمناطق الاستراتجية بين نظامين في سياق دولي مختلف.

9-أدبيات الدراسة:

سجلت هذه الدراسة قلة في الدراسات العلمية الأكاديمية في موضوع الجيوبولتيك والإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة تجاه منطقة القوقاز خاصة المراجع العربية لذلك لقد تعاملنا مع المراجع بطريقة استنباطية فكل ما هو موجود يتناول إما الشأن الروسي بصورة عامة أو التوجهات الكبرى للاستراتيجية الروسية خاصة تجاه الشرق الأوسط مثل كتاب لمى مضر الامارة المعنون بـ **"الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية"،** الذي سلط الضوء على الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وهواجسها الأمنية التي دعتها إلى تبني هذه الإستراتيجية بصفة عامة، أما دراستنا فتحاول توظيف الكم المعرفي الموجود في الدراسة السابقة وغيرها عبر إسقاطه على حالة دراسية واحدة هي منطقة القوقاز المستقل.

10-صعوبات الدراسة

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات والعثرات التي قد تواجه الباحث في إطار إعداده لبحثه. وفي دراستنا هذه واجهتنا خاصة صعوبة إيجاد مراجع أكاديمية متخصصة حول منطقة القوقاز بلغة البحث.

الفصل الأول

الفصل الأول : في الانتقال من الجيوبولتيك السوفييتي إلـــى الجيوبولتيــك الروسي.

مع نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي حدثت نقلـــة نوعيـــة فـــي تـــاريخ الجيوبولتيك الروسي؛ حيث أن الاتحاد السوفييتي كان، ولاتزال روسيا اليوم فـــي ســـعي دائـــم للوصول الى المياه الدافئة إلا أن الجيوبوليتيك الروسي قد تغير بشكل ملحـــوظ إذا مـــا قارنـــاه بالجيوبولتيك السوفييتي، وذلك نظرا للتغير الحاصل في الخريطة الجيوسياسية، حيث استقل عن الاتحاد السوفييتي جمهوريات كانت تابعة له وهنا يكمن موطن الانتقال، فروسيا اليوم تسعى الى تعزيز نفوذها في الفضاء السوفييتي السابق للحفاظ على أمنها القومي وتعزيز وتطوير علاقاتها مع دول الكومنولث المستقلة، أما الاتحاد السوفييتي سابقا كان يتصرف جيوبولتيكيا إمـــا لضـــم أراض جديدة أو لنسر الشيوعية والاديولوجية الاشتراكية وهذا ما حاولنا التطرق اليه بصـــورة معمقة ف فصلنا هذا.

المبحث الأول : في مفهوم الجيوبولتيك وأهميته.

شهد القرن العشرين تطور علم الجييوبولتيك فهذا المفهوم يعبر عن دراسة تأثير الأرض برها وجوها وثرواتها أو موقعها على السياسة للإستفاذة من هذه المميزات أي السياسة المتعلقة بالسيطرة على الأرض وبسط النفوذ، ولفهم هذا المصطلح يجب دراسته دراسة مقارنة بـــبعض المفاهيم الأخرى على غرار الجغرافيا السياسية والجيوستراتيجية ومعرفة معايير التفرقة بين هذه المصطلحات، إضافة إلى التطرق للأهمية التي يكتسبها في مجال العلاقات الدولية وهــذا مـــا سنحاول معالجته في هذا المبحث.

المطلب الأول: تعريف الجيوبولتيك وعلاقته بالمفاهيم القريبة.

أولا: تعريف الجيوبولتيك.

إن الجيوبولتيك يمثل ضمير الدولة وطموحها،واحتياجاتها ومصالحها فـــي المســـتقبل، وكيفية حمايتها والمحافظة عليها، والجيوبولتيك تنظر للمستقبل في ضوء معطيات الواقع وخبرة التاريخ، وهي لا تنظر فقط له، بل ترسم مسارا عاما للوصول إليه.[1]

ويطلق هذا المصطلح في مفهومه الضيق على تأثير السياسة على الجغرافيـــا، ولكنـــه تطور ليشمل دلالات أوسع ليعبر على الروابط والعلاقات السببية بين السلطة والسياسية والفضاء الجغرافي في شروط محددة.

كما أن الجيوبولتيك هو علاقة الدولة بمحيطها الخارجي وسياساتها الخارجية وتصورها عن ذاتها ومحيطها وتأثيرها وتأثرها بالعالم الخارجي، وكيفية صياغة السياسات والنشاطات التي تحقق لها أكبر العوائد وتجنبها المخاطر.[2]

[1] جاسم سلطان،**الجغرافيا والحلم العربي القادم:الجيوبولتيك عندما تتحدث الجغرافيا** (لبنان:تمكين للأبحاث والنشر،2013). ص18.
[2] محمد حمزة علوان،**الأسس والمفاهيم لعلم الجيوبولتيك**، متوفر على الرابط التالي:
http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/379

كذلك عرف الجيوبولتيك على أنه علم دراسة تأثير الأرض على السياسة، في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات، أي السياسة المتعلقة بالسيطرة على الأرض وبسط نفوذ الدولة في أي مكان تستطيع الوصول إليه، إذ أن النظرة الجيوسياسية لدى دولة ما تتعلق بقدرتها على أن تكون لاعبا فعالا في أوسع مساحة ممكنة من الكرة الأرضية.[1]

ويعرف الجيوبولتيك **yves lacoste*** 1992 على أنها:

" دراسة التنافس بين القوى و/أو التأثيرات في إقليم معين".[2]

كما يعرفه قاموس **larousse** الفرنسي على أنه:

"هو العلم الذي يدرس العلاقة بين جغرافية الدول وسياستها ".[3]

و يعرفه **الكسندر دوغين*** فيلسوف وسياسي روسي رئيس خبراء الجيوبولتيكا كما انه مؤسس المذهب الأوراسي الجديد على أنه :

" الجيوبولتيكا بالمظهر الدي تبدو فيه اليوم علم علماني دون شك، (دنس)،دنيوي."[4]

من الملاحظ أن التعريف الأخير يختلف عن سابقيه والمقصود هنا أن الجيوبولتيكا نتيجة العلمانية، جاء نتيجة لنزع القداسة كما قال الكاتب عن علم تقليدي آخر هو الجغرافيا. ولكن بما أن الجيوبولتيك يلعب دورا خاصا بين العلوم المعاصرة يمكن القول أنه يشغل موضعا وسطيا بينيا بين العلم التقليدي وبين العلم الدنس.

[1] لورا محمود،**الجيوبولتيك:جغرافية السياسة أم استراتيجية الساسة**، متوفر على الرابط التالي: http://www.al-binaa.com/?article=19801

* جغرافي وجيوسياسي من أصل مغربي بروفسور في الجيوبولتيك بجامعة باريس

[2] jean guisnel **,la geopolitique expliquée aux curieux** . http://www.lepoint.fr/editos-du-point/jean-guisnel/la-geopolitique-expliquee-aux-curieux-06-05-2010-452146_53.php

[3] http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/g%C3%A9opolitique/36712

* سياسي وفيلسوف روسي مؤسس للمذهب الأوراسي الجديد، يتولى الكسندر دوغين ادارة القسم الدراسي الخاص بالعلوم الاجتماعية الدولية في جامعة موسكو الحكومية وهو بروفيسور ودكتور في العلوم السي

[4] الكسندر دوغين،**أسس الجيوبولتيكا:مستقبل روسيا الجيوبولتيكي**،ترجمة عماد حاتم(لبنان:دار الكتاب الجديد المتحدة،2004).ص.523.

يعتبر علم الجيوبولتيك من العلوم الحديثة الهامة حيث يعبر عن طبيعة العصر الحالي من حيث تكامل وتداخل العلوم الإنسانية المختلفة، والواقع المعاش يستمد جذوره من تركيبة معقـدة من العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والعسكرية، ولا شك أن اقتران هذه التشكيلة بعلم الجيوبولتيك جعل منه منهجا علميا معاصرا يعمل على حـل معظـم الإشـكاليات بصورة شاملة وخصوصا بعد أن أصبحت العالمية تفرض نفسها على عالم اليوم، وتلعـب دورا كبيرا في حياة الشعوب والأفراد، وأصبحت انعكاسات الأحداث المحلية والإقليمية تتعدى بعـدها الجغرافي المحلي لتظهر آثارها في كثير من أرجاء المعمورة. عموما ،فالجيوبولتيك غالبا مـا تعني دراسة تأثير العوامل الجغرافية، الاقتصادية والثقافية على سياسة الدول وعلـى العلاقـات الدولية، كما ينظر إلى هذا المصطلح على أنه دراسة لأشكال التنافس بين الدول للتحكم والتأثير على الأقاليم والسكان وقاطنيها،وهذا يعني دراسة علاقات السلطة والحكم بين مختلف الجهـات الفاعلة التي تتولد عن سعي هذه الجهات لمراقبة فضاء معين،فتقوم الجيوبولتيك بتحليل أهـداف الجهات الفاعلة والموارد والطرق التي تستعملها لتحقيق تلك الأهداف، وعند قولنـا الأطـراف الفاعلة فنقصد بذلك : الدول، الحركـات السياسية،الشـركات المتعـددة الجنسـيات، الجهـات المسلحة،...، وغيرها، أما عن الفضاءات فتتنوع حسب مساحتها،فالتحليل يمكن أن يكون علـى مستوى وحدات صغيرة مثل المدينة،الحي،الشارع أو علـى نطـاق واسـع مثـل: المنطقـة، الدولة،مجموعة الدول، الكوكب...،وغالبا ما تكون النظرة للجيوبولتيك على أنها جزء من الفكر الاستراتيجي الذي يهتم بأهمية القوى البرية والبحرية في تاريخ العالم.[1]

الأسس الرئيسية لعلم الجيوبولتيك

1. الموقع الجغرافي للدولة: للموقع الاستراتيجي أهمية في زمن السـلم للسـيطرة علـى الحركـة التجارية، أما في زمن الحرب فيؤثر بقواعده العسكرية.

---

[1] محسن زوبيدة، محمد حمزة بن قرينة،"جيوبولتيك البترول في العالم"جامعة قاصدي مرباح، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، ورقلة (2013-2014)،ص2. متوفر على الرابط التالي:
https://www.google.fr/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwii39zb46LNAhWMzRoKHfI1DgUQFgggMAA&url=http%3A%2F%2Felearn.univ-ouargla.dz

2. شكل الدولة ومساحة رقعتها: سواء من حيث قصر الحدود أو مساحة الدولة حيث تمتاز الدولة العظمى باتساع وكبر المساحة.

3. المناخ: ويحد كثيرا من انتقالات البشر في المناطق التي تشتد برودتها كالجهات القطبية والمناطق التي تتصف بارتفاع حرارتها.

4. السكان: حيث أن النصر في أوقات الحرب هو بعدد من يمكن حشدهم من الرجال في ميدان القتال.

5. الموارد الطبيعية: يعد المكون الاقتصادي للدولة من العوامل والأسس الحيوية للقوة السياسية وجيوبولتيكا الدولة.[1]

ثانيا: الجيوبولتيك وعلاقته بمفاهيم قريبة.

1. **الجغرافيا السياسية:** يعنى علم الجغرافيا السياسية بدراسة تأثير الجغرافيا (الخصائص الطبيعية البشرية) في السياسة.

ويعرف كوهين الجغرافيا السياسية على أنها:

"الجغرفيا السياسية تهتم بدراسة المتغيرات المكانية في العمليات السياسية".[2]

كما عرفها هارتسهورن كما يلي :

"دراسة تباين الظاهرات السياسية من مكان لآخر في ضوء تباين ظاهرات سطح الأرض باعتبارهما موطن الإنسان.ويدخل ضمن هذه الظاهرات السياسية المظاهر التي تخلفها كل القوى والأفكار السياسية".[3]

ويتداخل هذا المفهوم مع الجيوبوليتيك: "علم سياسة الأرض".

---

[1] محمد حمزة علوان،مرجع سابق.

[2] فايز محمد العيسوى،**الجغرافيا السياسية المعاصرة**(مصر:دار المعرفة الجامعية،2008).ص17.

[3] محمد أزهر السماك،**الجغرافيا السياسية:بمنظور القرن الحادي والعشرين بين المنهجية والتطبيق**(الأردن:دار اليازوري العلمية،2013).ص38.

- تدرس الجغرافيا السياسية الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما الجيوبوليتيك تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتى ولو كان وراء الحدود.
- تشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع بينما تكرس الجيوبوليتيك أهدافها للمستقبل. من زحزحة الحدود إلى تزييف الخرائط
- الجيوبوليتيك يجعل الجغرافيا في خدمة الدولة، بينما ترى الجغرافيا السياسية أنها صورة للدولة[1].
- الجيوبولتيك يقوم على دراسة الوضع الطبيعي للدولة من ناحية مطالبها في مجال السياسة الدولية، أما الجغرافيا السياسية تأخذ بعين الاعتبار الدولة، وتعنى بتحليل بيئتها الجغرافية تحليلا موضوعيا.[2]

2. **الجيوستراتيجية :** تؤخذ الجيوستراتيجية كبعد جغرافي للاستراتيجية، ورغم ذلك هي غائبة في الجزء الكلاسيكي للجغرافيا.وفي كثير من الأحيان جزء لا يتجزأ من التاريخ.على سبيل المثال ،نجد خرائط معركة اوستارليتز في كتب التاريخ لكن ليس في تلك الخاصة بالجغرافيا،والحرب ليست إلا تباعا للسياسة بوسائل أخرى، فالجيوستراتيجية لابد أن تعتبر كتوسع للجيوبولتيك.[3]

ولا شك في هذا المجال بأن الهدف الثاني والأكبر بعد الهدف الرئيسي الأول للجيوستراتيجية الحديثة،يكمن في تحقيق المكاسب وتكوين مناطق التأثير والأنظمة اللاحقة أو التابعة،ذلك أن الجيوستراتيجية التطبيقية تتطلب أن يكون هناك منافع ومكاسب من وراء الأراضي المحتلة، التابعة أو الحليفة،بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق عبقرية اتخاذ القرار الصادر عن الاستراتيجي المسيطر ،أو الأقوى الذي يتخذ عادة "القرارات التكتيكية الهجومية" التي لها بالضرورة علاقات مكانية،وإلا فإنها لن تكون جيوستراتيجية ولن يتمكن الاستراتيجي

[1] محمد حمزة علوان،مرجع سابق.
[2] صبري فارس الهيتي،**الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية**(عمان:دار صفاء للنشر والتوزيع،2000).ص14.
[3] Stéphane rosière,**geographie politique, géopolitique et géostratégie : distinctions opératoires**,,2001.p42 disponible a : http://www.persee.fr/doc/ingeo_0020-0093_2001_num_65_1_2732

من تطويع "مكان الآخر" لصالحه،وذلك باعتماد واقع المكان والعلاقات السياسية- الاقتصادية المهيمنة أو السائدة والأهداف الإستراتيجية المطلوب الوصول إليها.[1]

المطلب الثاني: أهمية الجيوبولتيك.

إن الجيوبولتيك أشبه ما يكون بالضمير الجغرافي للدولة فهو يوصي بما ينبغي عمله سياسيا لصالح الدولة، وفي المقابل قد ظهر من ينظر إلى هذا العلم على أنه أداة تحليلية لتقويم الوزن السياسي والعسكري للدولة بشكل موضوعي ،يعتمد حقائق الجغرافية السياسية وبمنهج موضوعي بعيدا عن الذات؛ أي أنه يحاول أن يلتمس الحاسة السياسية المكانية في عناصر البيئة الطبيعية والبشرية بشكل موضوعي.

إن الجيوبولتيك يختص بدراسة الدولة من الوجهة السياسية، ولكن لا ينظر للدول كمفهوم ثابت بل ككائن حي دينامي، ويدرس الجيوبولتيك العلاقات المكانية المتبادلة بين الأرض والسكان والمنظر الحضاري(المهارات والتقنية) ذلك من وجهة نظر قومية وذاتية.[2]

والجيوبولتيكا ديناميكية حركية إذ أنها هيأت أدوات الفعل السياسي وكانت دليلا للحياة السياسية. ويستعمل الجيوبولتيك للتعبير عن جغرافية العلاقات السياسية وخاصة تلك التي تتعلق بالسياسات الدولية؛ لأن الجيوبولتيك يتصل مباشرة بالعلم الذي يهتم بدراسة تأثير الموقع الجغرافي في أوضاع الشعب أو مواقعه وبالأخص في السلوك الدبلوماسي للدولة. وبهذا المعنى، فإن الدراسة الجيوبولتيكية تعد موضوعا أساسيا للكشف عن مقومات ومتطلبات بناء القوة العسكرية وعوامل إعاقتها إذ أن حياة الدولة وقوتها الجوبولتيكية تنبعان من الأرض بشكل أو بآخر. لكن ذلك يتطلب تدخل البشر بحكمة وتبصر لكي تحول موارد الأرض إلى عناصر فعالة.[3]

---

[1] محمد حمزة علوان،مرجع سابق.

[2] محمد أزهر السماك،مرجع سابق.ص37.36.

[3] صبري فارس الهيتي مرجع سابق.ص15.

كما يعتبر علم الجيوبولتيك ضمير الدولة الحي وعينها الساهرة،التي تضع الدراسات العلمية للقادة السياسيين والعسكريين، للمحافظة على أمن ووحدة وسلامة البلاد، ومن أهم عناصر تلك الوحدة: الوحدة الوطنية. والتقدم الاقتصادي، والقوة العسكرية هي السبيل الوحيد للمحافظة على تراب الوطن مهما كانت الأسباب والمبررات. ومن هنا كان التجنيد والتسليح والتدريب المستمر للقوات المسلحة أمر لا تقتضيه واجبات الأمن فحسب،بل ضرورة لتؤمن مسيرة البقاء والاستمرار للأجيال القادمة.[1]

ويركز الجيوبولتيك اهتماما على مطالب الدولة من حيث المساحة، وقد وجد أن هناك خمسة عناصر في رأي الجيوبولتيك بالنسبة لمساحة الدولة، وهذه العناصر هي الاكتفاء الذاتي والمجال الحيوي والفكرة الاقليمية والصراع بين قوة اليابسة والماء والحدود السياسية. كما يهتم الجيوبولتيك بالوضع في المستقبل، إذ ترسم صورة لما يجب أن تكون عليه الدولة.[2]

المطلب الثالث:تطور الدراسات الجيوبولتيكية.

من المتعارف عليه أن الجيوبولتيك كمصطلح تعود صياغته إلى الجغرافي السويدي **رودلف كيلين** (1864_1922)، الذي استخدمه في كتابه عن القوى الكبرى الصادر في السويد عام 1905.على أن **ميشال كورينمان** يذهب إلى التأكيد أن مصطلح الجيوبولتيك ورد قبل عام 1905،في كتاب لكيلين نفسه عنوانه (مدخل إلى جغرافيا السويد) صدر عام 1900.

لم يكن مصطلح الجيوبولتيك، الذي وضعه كيلين كما أشرنا، سوى التسمية المختصرة للجغرافيا السياسية التي أسسها راتزل، لكن مع التركيز على المنحى التطبيقي لهذه الجغرافيا. بمعنى آخر،إذا كانت الجغرافيا السياسية، برأي راتزل، الأداة المعرفية النظرية في يد الدولة،فإن الجيوبولتيك، في منظور كيلين، هي الجغرافيا السياسية عينها، لكن في المجال التطبيقي.

من هنا فإن مصطلح الجيوبولتيك، عند ظهوره،وفي بداية تداوله، لم ينقطع ابيستمولوجيا عن الجغرافيا السياسية، لأنه بقي يشير إليها، وبالتالي ظل جزءا لا يتجزأ منها. أما الجيوبوليتيك

[1] محسن زوبيدة،محمد حمزة بن قرينة، مرجع سابق.ص3,4.
[2] محمد أزهر السماك،مرجع سابق.ص36.

بصفته علما مميزا من الجغرافيا السياسية الراتزلية، وإن كان منبثقا عنها، فيعود تأسيسها إلى الجنرال والجغرافي الألماني كارل هاوسهوفر(1869_1946).[1]

في هذه الأثناء كانت ألمانيا تعيش بعد الهزيمة التي منيت بها في الحرب العالمية الأولى، في انتكاسة قومية بسبب ما اقتطع منها من أراض كإجراءات عقابية لها من قبل المنتصرين، وتقسيم مستعمراتها بين إنجلترا وفرنسا، كما فرض عليها حصار عسكري ومالي.

وفيما بين الحربين كرس الجغرافيون والسياسيون الألمان جهودهم للخروج بوطنهم من محنته، وخرجت لأول مرة دورية علمية تحمل عنوان "المجلة الجيوبوليتيكية" وضمت هجيناً من الفكر الجغرافي والتاريخي والسياسي والقومي والاستعماري[2].

وقد صيغ هذا الفكر في قوالب علمية رفعت شعار: "لا بد أن يفكر رجل الشارع جغرافياً وأن يفكر الساسة جيوبوليتيكياً." وقد جاء هذا الشعار ليبرر الكم الهائل من المعلومات الجغرافية "المغلوطة" التي قدمت للشعب الألماني عن دول شرق أوربا والاتحاد السوفيتي. كما تم توظيف نتائج بحث الجغرافيا التاريخية والآثار لتقديم معلومات عن أحقية ألمانيا في أراض وبلدان تبعد عنها مئات الأميال شرق أوربا.

وبالرغم مما قد نظنه من مهام علمية بريئة للجمعيات الجغرافية، فإن دورها في خدمة التوسع الألماني كان جلياً واضحاً. وتحت رعاية الجمعية الجغرافية الألمانية أنشئت في ميونخ عام 1924 المدرسة الجيوبوليتيكية التي رأسها الجغرافي السياسي كارل هوسهوفر. وبجهود هذه المدرسة وبالأعداد المتواترة للدورية الجيوبوليتيكية، جهز الجغرافيون والسياسيون الفكر الألماني بعضوية الدولة وضرورة زحزحة حدودها لتشمل أراضي تتناسب مع متطلباتها الجغرافية وتحقق ضم الأراضي التي يقطنها الجنس الآري.

وقد تلقف **هتلر** أفكار **هوسهوفر** وزملائه، كما استعان بأفكار الجغرافي الإنجليزي الشهير **ماكندر** (الذي كانت مقالاته تترجم إلى الدورية الجيوبوليتيكية)، خاصة تلك الأفكار التي

[1] معين حداد،**الجيوبولتيكا:قضايا الهوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسة**(لبنان:شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،2006).ص9،27.
[2] محمد حمزة علوان،مرجع سابق.

صاغ من خلالها نظريته "قلب الأرض"، والتي تقول فحواها: إن من يسيطر على شرق أوربا يسيطر على العالم. وتنبأ فيها بانتقال السيطرة على العالم من القوى البحرية (إنجلترا وفرنسا) إلى القوى البرية (ألمانيا والاتحاد السوفيتي.)

وجاءت أفكار هتلر بدءاً من كتاب "حياتي"، ومرورا بخطبه الحماسية، لتكرس مفهوم المجال الحيوي لألمانيا، أي مساحتها الجغرافية اللائقة بها وبالجنس الآري، ولتمثل أبرز مقومات القومية الاشتراكية (النازية) التي تبناها.

وهكذا زاد التداخل في المفاهيم وصار الفصل صعباً بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك والإمبريالية. وصعدت الجيوبوليتيك إلى مصاف العلوم الكبرى خلال الحرب العالمية الثانية، حتى كتبت هزيمة ألمانيا نهاية لهذه المكانة. وصار مفهوم الجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية قرين التوظيف السيئ للجغرافيا السياسية، وهو ما أضر بتطوير الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية معا[1].

لقد شهد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تطورا كبيرا لهذا العلم سواء على المستوى النظري، أو على مستوى تأثيره في صياغة التوجهات الإستراتيجية الكبرى للدول، وقد لا يكون من المتيسر على الباحثين في التاريخ الحديث فهم الرؤى الإستراتيجية التي وجهت المواقف والتحولات الكبرى في الحرب العالمية الثانية بدون العودة إلى مقولات الجيوبوليتكا، خاصة بالنسبة لدولة كألمانيا في العهد النازي، حيث تحولت مقولات الجيوبوليتكا الألمانية إلى مقولات مقدسة يتحدد تبعا لها الموقف من الحرب والسلام. ولكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا، صار ينظر إلى الجيوبوليتك على أنه مثال للتوظيف الخاطئ للجغرافيا في السياسة، وبلغ هذا الإشكال مبلغا كبيرا عندما أخذ ينظر إليه باعتباره علم زائف وحامل لأيديولوجيا عدائية؛ فقامت معظم الدول بمنع تدريس الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك في جامعاتها؛ باعتبارهما علمين مشبوهين يسعيان إلى بذر العداء ويكرسان الأطماع القومية.

---

[1] مرجع سابق.

واستمر الحال على هذا المنوال حتى تسعينات القرن الماضي، عندما لاحت مؤشـــرات الانهيار الكبير للإتحاد السوفييتي، لنعود ونشهد الولادة الجديدة لمقولات الجيوبوليتك، ذلـــك أن انهيار كل المحددات الأيديولوجية والسياسية التي قام على أساسها النظام العالمي ثنائي القطبيـــة بعد الحرب العالمية الثانية، دفع الباحثين في محاولاتهم تلمس شكل النظام الجديد المرتقب إلـــى أكثر العوامل ثباتا وديمومة في صنع الكتل السياسية الكبرى، ألا وهي الجغرافيا؛ فعـــادت إلـــى الظهور مقولات الجيوبوليتكا وظهرت في المكتبات مؤلفات كلاسيكية ودراسات حديثـــة تســـعى لقراءة التحولات الكونية الكبرى من منظور جيوبوليتكي.[1]

[1] مرجع سابق.

المبحث الثاني : الجيوبوليتيك السوفيتي قبل نهاية الحـــرب البـــاردة بـــين الايديولوجيا والمصلحة

سنتطرق من خلال هذا المبحث إلى الجيوبولتيك السوفييتي، والذي حاول مـــن خلالـــه المزج بين الايديولوجية والمصلحة فالاتحاد السوفييتي عمل على تحقيق الكثير مـــن المصـــالح والتي من بينها السعي الدائم للحصول على المياه الدافئة، وسعى أيضا إلى الزحف مـــن أجـــل السيطرة على مناطق جديدة من أجل بسط نفوذها وتحقيق الهيمنة، كما سعت أيضا إلـــى نشـــر ايديولوجيتها ومبادئها الشيوعية في جميع المناطق التي ضمتها إليها.

المطلب الأول : السعي السوفيتي الدائم للوصول إلى المياه الدافئة

لعل من نافلة القول أن الضرورة العلمية تحتم مدخلا جغرافيا لهذا الموضوع، لأهمية الجغرافية في صنع القرار السياسي، كما وأن الخيارات السياسية لا يمكن أن تتحقـــق إلا مـــن خلال الثوابت الجغرافية، لأن السلوك السياسي لكل دولة يمثل انعكاسا لتاريخها، وتاريخها هو نتاج الثوابت الجغرافية إلى حد بعيد. ولعل هذا ينطبق على تاريخ روسيا منذ عهد القياصرة إلى أيام الاتحاد السوفيتي.[1]

لقد أطلق الانجليز مصطلح المياه الدافئة على مياه الخليج العربي في فترة صراعاتهم مع القوى والإمبراطوريات الكبرى في القرنين الثامن والتاسع عشر، ومع مطلع القرن التاسع عشر تحول الخليج إلى بحيرة بريطانية كما وصفها المؤرخون والساسة، فبسطوا هيمنتهم على مناطق بالكامل، ففي ذلك الزمن البعيد كان قريبا من تلك المياه الدافئـــة «الإمبراطوريـــة العثمانيـــة» والقيصرية الروسية في عز قوتهما.

عندما كنا ندرس تاريخ العلاقات الدولية كانت العبارة التالية تتردد في معظـــم الكتـــب والدراسات المعنية بالسياسة الخارجية الروسية قيصرية أو سوفيتية (إن الدب يسعى إلى الميـــاه

[1] ريسان عامر، **بداية العلاقات بين العراق والاتحاد السوفياتي**. متوفر على الرابط التالي:
http://almadasupplements.com/news.php?action=view&id=14289

الدافئة)؛ لأن الذي يدرس الخريطة التي تحدد ملامح جغرافية روسيا، سوف يكتشف أنها دولة قارية كبرى تشغل مساحة في شرق أوروبا وتمتد في شمال آسيا وهي تعاني تاريخيا وجغرافيا من البحار المغلقة أو المياه المتجمدة، لذلك فهي تسعى دائما نحو البحار المفتوحة وتتجه أحيانا إلى الجنوب الشرقي ولكن دائما إلى الجنوب الغربي لعلها تصل إلى الشواطئ التي تسمح لها من النواحي الإستراتيجية أن تنتصر على الوضع الذي فرضته الطبيعة عليها. [1]

إن لهذه الإستراتيجية جذورا تمتد إلى القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر أي في مرحلة روسيا القيصرية التي تمددت في آسيا الوسطى ومنطقة القوقاز، التي اعتبرتها حديقتها الخلفية المؤدية إلى الجنوب. ذلك أن أبصارهما ظلت معلقة طول الوقت بالمياه الدافئة في الجنوب التي كان البحر الأبيض المتوسط رمزا لها. فى تلك المرحلة المبكرة، لم يكن السبيل إلى عالم المياه الدافئة سهلا بسبب وجود دولتين كبيرتين تعترضان ذلك الطريق، هما الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية العثمانية.

إن تحقيق هذه الإطماع المتشابكة لن يتم ألا بالقضاء على الدولة العثمانية،و السعي إلى تقسيم الأملاك العثمانية بين الدول الكبرى، خاصة في منطقتي آسيا الوسطى و البلقان، و أدرك الروس أن ذلك لن يتحقق ألا بوجود قدر من التوافق بين روسيا و الدول الأوروبية الكبرى،تمهيدا لوصول روسيا إلى المياه الدافئة و هو الحلم الذي ظل يراود الروس فترة طويلة من الزمن . [2]

ويمكن القول أن الاتحاد السوفيتي أقام علاقات مع الكثير من الدول الأسيوية والغير أسوية، للوصول إلى المياه الدافئة ومن أمثلة هذه الدول نجد دول مجلس التعاون الخليجي، يعود الاهتمام الروسي بمنطقة الخليج إلى عهد روسيا القيصرية، ولقد برز في القرن التاسع عشر ما عرف بنظرية العظمة، التي كان مفادها أن من يسيطر على (قلب) أوراسيا يضمن السيطرة على العالم، بيد أن تلك النظرية لم تتحقق، إذ إن التوسع الروسي باتجاه وسط آسيا لم يحقق حلم

[1] صطفى الفقي، **الدب والمياه الدافئة**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.almasryalyoum.com/news/details/826833

[2] بدر عبد الملك، **الدب الروسي يسبح في المياه الدافئة**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.albayan.ae/opinions/1171288215051-2007-02-20-1.760012

الروس في الوصول إلى المياه الدافئة. وبعد الحرب العالمية الثانية، تغيرت معادلة الصراع الدولي، حيث بدأت الولايات المتحدة سياسة الاحتواء التي تصدت ضمن أمور أخرى، لمحاولات منع التمدد السوفييتي باتجاه المياه الدافئة، وحيث مثلت منطقة الخليج الجناح الجنوبي للحزام الشمالي، الذي أقامه الغرب في وجه السوفييت.[1]

كما أقام أيضا علاقات من اجل تحقيق مصالحه مع العديد من الدول العربية أبرزها دولة العراق إن الحقيقة الجغرافية الأولى في علاقة الاتحاد السوفيتي بالعالم العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص هي أنه القوة العظمى التي تكاد تتاخم العالم العربي أرضيا.

ويرى بعض كبار الباحثين في العالم العربي ان مصالح الاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية هي مصلحة سلبية يمكن أن يطلق عليه "مصلحة حرمان"، ويعني حرمان الغرب من المنطقة كقاعدة إستراتيجية حاسمة تهدده مباشرة، وكمستودع لأهم ثروات العالم.

فقد اهتمت روسيا ومنذ القرن السابع عشر في الوصول إلى المياه الدافئة (مياه الخليج العربي). فالقياصرة جميعهم كانوا يأملون الوصول إلى تلك المياه.

من هنا احتل العراق موقعاً مهماً بالنسبة للعالم، مما أثار اهتمام مختلف الدول الكبرى ومنها روسيا، وعلى ضوء ما تقدم، فقد بدأ الاهتمام الروسي بالعراق منذ عام 1901، إذ بدء التجار والشركات الروسية يسيرون رحلاتهم أليه من خلال مدينة البصرة، وبذلك بدأت روسيا تنافس الدول الأجنبية والتي لها مصالح واحتكارات في العراق، مثل النمسا ولاسيما في توريد الأخشاب إلى جانب السندات الروسية و والتي أصبحت الأهم في مدينة البصرة. وبالرغم من عدم استقلال العراق في نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن روسيا، افتتحت لها قنصلية في مدينة البصرة. ويبدو أن الإسراع بفتح القنصلية السوفيتية في العراق على الرغم من تبعيته العثمانية يرجع لتشخيص روسيا مواطن الضعف والانحلال في الدولة العثمانية والتي بدأت بوادرها تلوح

[1] عبد الجليل المرهون، العلاقات الروسية الخليجية. متوفر على الرابط التالي:
http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/1caafc3d-d17e-4dda-bdd7-a734af58b7b4

من خلال هزائمها المتكررة في أكثر من موقع أولا، ولاشتداد حدة التنافس الاستعماري في المنطقة ثانياً، ومحاولة روسيا تثبيت أقدامها قبل غيرها.

إن تحقيق المصالح السوفييتية لم يتحقق فقط حسبها عن طريق تحسين علاقاتها مع الدول بل قادها إلى شن الحروب على بعض الدول مثل حربها ضد أفغانستان فقد مثل الغزو السوفييتي لأفغانستان ذروة محاولات موسكو للوصول إلى المياه الدافئة. [1]

المطلب الثاني: التوسع السوفيتي بغية الحصول على أراضي جديدة

بدأ التجار الروس منذ أواسط القرن السابع عشر بممارسة التجارة بنشاط في أراضي أمريكا الشمالية وفي جزر المحيط الهادئ وشبه جزيرة ألاسكا وفي أراضي ولايات كاليفورنيا وأوريغون وواشنطن الحالية، وأسسوا مراكز سكنية ومدنا خاصة بهم اطلقت عليها تسمية " أمريكا الروسية". وفي عام 1799 شيد الكسندر بارانوف رئيس الجاليات الروسية في أمريكا حصنا على جزيرة ارخبيل الكسندر وبني إلى جانبه مدينة نوفوارخانغلسك (مدينة سيتكا حاليا) التي أصبحت في عام 1808 عاصمة المستوطنات الروسية في القارة الأمريكية.

وفي الواقع، ساعدت روسيا على أن تكسب الولايات المتحدة الاستقلال حين رفضت تقديم المعونة العسكرية إلى بريطانيا من اجل إخماد الانتفاضة التي اندلعت في عام 1775 في 13 مستعمرة بريطانية في أمريكا وأعلنت روسيا حيادها لاحقا.[2]

وقد مس كذلك هذا التوسع العالم الإسلامي، فاعتبارا من القرن الثالث عشر الهجري تعرض العالم الإسلامي عموما بقيادة الخلافة العثمانية، وروسيا، وأوروبا، وإيران، لمتغيرات هائلة، كان لها أثرها المباشر على علاقات الخلافة العثمانية مع مناطق آسيا الوسطى بعد سقوط القرم وقفقاسيا حتى بحر قزوين في يد الروس، ويأتي على رأس هذه المتغيرات ضعف الخلافة

[1] ريسان عامر،مرجع سابق.
[2] **تاريخ العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية**. متوفر على الرابط التالي:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9

العثمانية، وتقسيم أملاكها إلى مناطق حماية بين الدول الاستعمارية، وانفتاح الطريق أمام الروس لاحتلال ممالك آسيا الوسطى الإسلامية.

فقد بدأت روسيا القيصرية في التكالب على المسلمين في هذه المنــاطق، لمَّـا ضــعفت الخلافة العثمانية، وخاضت معهم حروب إبادة جماعية، بدءا من عهد إيفان الثالث (885ه ـــــ 1480م)، الذي نكل بالمسلمين وقاد حملة كبيرة أخرج فيها المسلمين التتار من موسكو بعــد أن دامت في أيديهم قرابة 240 عاما، ثم جاء عهد فاسيلي الثالث ابن إيفان الثالث، فطلب منه البابا أن يعجل بطرد المسلمين إلى سيبريا وتشتيتهم، واعدا إياه بملكوت السماء بالقســطنطينية التــي فتحها محمد الفاتح العثماني عام 857هــ، لكن أخطر هؤلاء القياصرة كــان إيفــان الرابــع أو "الرهيب" كما أطلق عليه المسلمون هذا الاسم؛ وذلك بسبب حرب الإبادة الشــاملة التــي شــنها ضدهم؛ فقد فرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما فعل الأسبان بمســلمي الأندلس.

كما فعل الروس ذلك مع التتار المسلمين على ضفاف نهر الفولجا ومع البشــكير، وقــد تحول كثير من البشكير والتتار إلى النصرانية؛ خوفا على أنفسهم وأولادهم، محــافظين علــى إسلامهم سرا.[1]

الدول المجاورة أيضا كان لها نصيبها من هذا التوسع، فقد شهدت دول البلطيــق علــى مدى تاريخها تنافسا استعمارا كبيرا بين الدول الكبرى المحيطة بها والذي أثر بشكل كبير عليها، وقد استغلت دول البلطيق فترة تحطم الإمبراطورية الروسية والألمانية فــي إحــداث الحــرب العالمية الأولى لتمتع باستقلالها الذي ضمنته عصبة الأمم ودول الحلفاء، وقد حدث مع نهاية عام 1939 تغير في الأوضاع السياسية في القارة الأوربية لاسيما بعد عقد معاهدة عــدم الاعتــداء الألماني السوفيتي في 23 أوت 1939.

[1] **آسيا الوسطى والقوقاز تحت الاستعمار الروسي.** متوفر على الرابط التالي: http://islamstory.com/ar/%D8%A2%D8%B3%D9%8A%D8%A7-

يعتبر ضم دول البلطيق للاتحاد السوفيتي مثلا للسياسة التوسعية التي أنتهجها الاتحـــاد السوفيتي بغية الحصول على اراض جديدة عن طريق الضغط الدبلوماسي المصحوب بالتهديــد باستخدام القوه المسلحة، ولهذا التوسع في منطقة البلطيق قصة طويلة بدأت مع نهايـــة الحـــرب العالمية الأولى، ففي ذلك العام 1918 اعترفت الحكومة السوفيتية باستقلال دول البلطيق وعقدت معها معاهدات عام 1920، وتمتعت الدول البلطيقية باستقلالها حتى عام 1939، لاسيما بعد عقد ميثاق عدم الاعتداء السوفيتي – الألماني في 23 أوت 1939 سعى الاتحاد السوفيتي للتوسع في هذه الدول عن طريق مواثيق عدم الاعتداء مع هذه الدول الذي أتاح للاتحاد السوفيتي اســتخدام أراضي هذه الدول وإدخال قوات عسكريه فيها، وكان طبيعيا أن يتحول إلى احــتلال عســكري مباشر.

أما بنسبة لعملية التوسع السفييتي في منطقة القوقاز فيمكن ان نلخص عوامل التدخل السفييتي في القوقاز فيما يلي :

أ ــ عامل داخلي.

حيث ركز القيصر نيقولا الأول (1825 – 1855م) جهوده للسيطرة على منطقـــة القوقاز، ولتحقيق هذا الغرض تم بناء خط من الحصون لمحاصرة هذه القبائل والقضـــاء علـــى مقاومتها حتى اضطر للاستسلام في عام 1859م، وكان القضاء على الشيخ شامل وثورته تأمينا للوضع العسكري في المنطقة، وتمهيدا للتقدم الروسي في خانات آسيا الوســطى التـــي كانـــت مجهولة تماما بالنسبة للدول الأوروبية والعالم الغربي.ثم إن روسيا أرادت بعد هزيمتها في حرب القرم من قبل فرنسا وبريطانيا أن تعيد تحقيق الأمجاد العسكرية، والانتصارات الروسية، ولذلك عمل ألكسندر الثاني (1855–1881م) على تقوية وتحديث الجيش الروسي، فأصدر في عـــام 1874م قانون الخدمة العسكرية.[1]

[1] عماد هادي عبد علي، **التوسع السوفيتي في منطقة البلطيق**، 1939 - 1941، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات.متوفر على الرابط التالي: http://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/kufa_arts/article/view/258/pdf_90

وهذا فضلا عن رغبة الروس في نشر مـذهبهم الأرثوذوكسـي، ومحاربـة الخانـات الإسلامية، وزعزعة العقيدة الإسلامية، وتأمين الحدود الجنوبية؛ حيث أدرك قياصـرة الـروس خطر الإسلام، وأنهم هم الورثة الحقيقيون للدولة البيزنطيـة، وحمـاة المـذهب الأرثوذكسـي ودعاته.[1]

ب ــ ظروف دولية:

حيث كانت حرب القرم التي انهزمت فيها روسيا من أهم الأسباب التـي قادتهـا إلـى التوسع الجغرافي والعقائدي في وسط آسيا، وذلك أنها قضت على هيبة روسيا دوليـا ولفتـرة طويلة، وقضت لفترة على التوسع الروسي غربا، وبسببها تخلت روسيا مؤقتا عن فكرة تقسـيم الخلافة العثمانية، ومن ثم نشطت للتوسع في آسيا الوسطى.

أما المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية، فقد شهدت نوعا أخر من التوسع فبعـد أن أوشكت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء، برزت بشكل أكبر مطامع الاتحاد السـوفيتي فـي التوسع والسيطرة على العالم، فالسوفيت كانوا يسعون لتعزيز هيمنتهم علـى شـرق أوروبـا، وإحكام سيطرتهم السياسية والعسكرية عليها، وذلك من خلال وجود قواتهم في دولها، وربطهـا بتحالفات عسكرية، وفي مقابل رفض موسكو الانسحاب من أوروبا الشرقية، فإنها كانت تحاول أن تجعل النفوذ الشيوعي ممتدا داخل أوروبا الغربية.

وقد أدخل تفكك الاتحاد السوفيتي بيانات جديدة على معادلة العلاقات الدولية بشكل عام، وعلى معادلة العلاقات البينية بين القوتين الأعظم فيها إلى انتصار التجربة الأمريكية وهيمنتهـا على التجربة العالمية ككل، كما أن العلاقات الدولية بنيت على أساس قوة واحدة مهيمنة تـتحكم في الشؤون العالمية، ولا يوجد ند لها.[2]

---

[1] مرجع سابق.

[2] عامر هشام عواد،"**التحول في العلاقات الروسية الأمريكية**". المجلة العربية للعلوم السياسية، ع.26،مارس2010. متوفر على الرابط التالي: http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/political_26_47-66%20amer%20awaad.pdf

المطلب الثالث : التوغل الإقليمي لنشر الإيديولوجية الماركسية و التبشير بالمجتمع الشيوعي.

تنطوي أيديولوجية الدولة في الاتحاد السوفيتي على عدد من التيارات النظرية المختلفة، المنبثقة أساسا من الأيديولوجية الماركسية في الاشتراكية، ولكن هناك بعض الاتجاهات الضئيلة التي برزت من داخل الحركة الثورية الروسية مثل أيديولوجية الثوريين الاشتراكيين اليسارية، أو من داخل الشيوعية اللاسلطوية مثل الماخنوية. وبعد عام 1921، سيطرت الأيديولوجيات الديمقراطية الاشتراكية الروسية على أيديولوجية الشيوعية السوفيتية.

ولد الاتحاد السوفيتي من رحم الإمبراطورية الروسية التي أصابها الضعف والوهن مما حل بها من أحداث سياسية مثل الثورة الروسية التي قامت عام 1917، وتحولت فيما بعد إلى الحرب الأهلية الروسية والتي دامت أربعة أعوام كاملة فيما بين 1918 وحتى 1921. وتكون الاتحاد السوفيتي من اتحاد العديد من الدول السوفيتية فيما بينها مكونة الكيان السياسي المعروف، وإن كان اسم "روسيا" كبرى الدول المؤسسة للاتحاد السوفيتي والوريث الشرعي له ظل يطلق على الكيان السياسي الجديد لفترة من الوقت حتى مع وجود اسم "الاتحاد السوفيتي"، وبنظرة سريعة نجد أن الاتحاد السوفيتي لم تكن له حدود دولية ثابتة منذ نشأته، إذ تغيرت حدوده بتغير الزمن وتعاقب الأحداث التاريخية، حيث قاربت حدوده في أعقاب الحرب العالمية الثانية حدود الإمبراطورية الروسية السابقة خاصة بعد ضم مساحات شاسعة من الأراضي المجاورة لأراضيه، والتي تمثلت في دول البلطيق وشرق بولندا ومنطقة بيسأرابيا في شرق أوروبا، وبذلك كان الاتحاد السوفييتي قد استعاد كامل حدود الإمبراطورية الروسية ماعدا باقي الأراضي البولندية والفنلندية.[1]

---

[1] محمد عدول، **الاتحاد السوفيتي...الاشتراكية والشيوعية الزائفة**، متوفر على الرابط التالي:
https://mohammededdoul.wordpress.com/2012/03/22/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-

وتكون الاتحاد السوفيتي في البداية من اتحاد أربع جمهوريات سوفيتية اشتراكية سابقة إلا أنه بحلول عام 1956 كان الاتحاد السوفيتي قد أصبح كيانا ممثلا لخمس عشرة دولة اتحادية وهي:

1. جمهورية أرمينيا السوفيتية الاشتراكية.
2. جمهورية أذربيجان السوفيتية الاشتراكية.
3. جمهورية إستونيا السوفيتية الاشتراكية.
4. جمهورية أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية.
5. جمهورية أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية.
6. جمهورية بيلاروس السوفيتية الاشتراكية.
7. جمهورية تركمانستان السوفيتية الاشتراكية.
8. جمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية.
9. جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية.
10. جمهورية طاجيكستان السوفيتية الاشتراكية.
11. جمهورية كازاخستان السوفيتية الاشتراكية.
12. جمهورية قيرغيزستان السوفيتية الاشتراكية.
13. جمهورية لاتفيا السوفيتية الاشتراكية.
14. جمهورية ليتوانيا السوفيتية الاشتراكية.
15. جمهورية مولدوفا السوفيتية الاشتراكية.[1]

وكل جمهورية متحدة هي دولة سوفيتية اشتراكية ذات سيادة، لها أرضها الخاصة التي لايمكن حسب دستور الاتحاد السوفيتي، أن يجري عليها تعديل دون موافقتها، ولكل جمهورية جنسيتها ودستورها الذي تسنه، وتمارس الجمهورية المتحدة الرقابة على العمل بدستورها، وتحدد على نحو مستقل نظامها الإداري، وبالاختصار فإن الجمهورية المتحدة مستقلة في تقرير

[1] مرجع سابق.

جميع شؤونها الداخلية. وهي مخولة دستورياً لإقامة علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية، وعقـــد اتفاقات معها، وتبادل الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين، وحق الانتساب إلى الأمم المتحدة.

أما في ما يخص نشر الشيوعية والماركسية فقد ساهم الاتحاد السفييتي بعد انتهاجه لهذا النهج في نشره على نطاق واسع خاصة في المناطق التي كانت تابعة له فشيوعية تنتشـــر فـــي أماكن كثيرة من العالم، فعلى مستوى الأفراد لا يكاد صقع من أصقاع العالم يخلو من معتنقـــين لها، إذ تنتشر عبر الوسائل والقنوات المختلفة.

أما على مستوى الحكومات، والأحزاب والتنظيمات، فتنتشر في أماكن عديدة، فالشيوعية حكمت عدة دول، منها:

1. الاتحاد السوفييتي
2. الصين
3. تشيكوسلوفاكيا
4. المجر
5. بلغاريا
6. بولندا
7. ألمانيا الشرقية
8. رومانيا.
9. يوغسلافيا
10. ألبانيا.
11. كوبا.[1]

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، ساعد الجنود السوفييت في تحرير العديدِ من الـــدول من السيطرتين الألمانية واليابانية، ومِن هنا أصبحت بلدان: بلغاريا وتشيكوســـلوفاكيا، وألمانيـــا

[1] مرفت عبد الجبار، **الشيوعية**، متوفر على الرابط التالي : https://saaid.net/daeyat/mervat/69.htm

الشرقية والمجر، وبولندا ورومانيا، وكوريا الشمالية، ديمقراطيات شـعبية مرتبطـة بـأحلاف ومعاهدات عسكرية واقتصادية وسياسية مع الاتحاد السوفييتي، ففي عام 1947م أنشئت تسـعة أحزاب شيوعية أوروبية الكومينفورم (دائرة الإعلام الشيوعي)، وقد سـيطر السـوفييت علـى الكومينفورم، وحاولوا استخدامه من أجل ضمان استمرار الأحزاب الأخرى في اتباع سياستهم، طردت يوغوسلافيا من الكومينفورم عام 1948م، بعدما رفض جوزيف بروز تيتـو أن يكـون تابعا لسياسات الاتحاد السوفييتي، وبعدها فقد (الكومينفورم) فاعليته، وتم حله عام 1956م.

و في ما يخص السياسة الخارجة السفياتية، فالواقع يثبت انها متأثرة بالتوجه الماركسي وذلك يظهر من خلال أن مخرجات هذه السياسة يتطابق مع أسس و مبـادئ هـذه النظريـة، وتختلف آراء الباحثين حول الدور الذي تؤديه الأيديولوجية في التأثير على عملية صنع السياسة الخارجية السوفييتية، فبعض الكتاب يرى أن السلوك السوفييتي يتأثر أساسا بالقيم الشمولية التي ظهرت منذ عهد القيصر، ولكن يرى آخرون أن ذلك السلوك يتحدد انطلاقا من الفكر الماركسي اللينيني، وهناك من يعتبر الماركسية اللينينية أداة لتبرير سياسات تحققت في إطـار المصـلحة الوطنية للاتحاد السوفييتي، أو أداة للدعاية في الداخل والخارج. وبصرف النظر عن صحة تلك الآراء، فإنه يبدو أن الأيديولوجية الماركسية – اللينينية أثرت على خيارات السياسة الخارجيـة السوفييتية؛ ذلك أنها أثرت على تصور القادة السوفييت للعالم، وعلى الأشياء التي يرونها مهمة، أو غير مهمة، وعلى الدوافع التي تدفعهم إلى الاستجابة لقضية معينة، ويبـدو أن العديـد مـن جوانب الأيديولوجية الماركسية اللينينية قد بلورت طريقة تصـور القـادة السـوفييتيين للعـالم الخارجي، ومن ثم تصرفاتهم تجاهه، إن إحدى الركائز المهمة في الماركسية هي الاعتقاد بـأن هناك طبقتين أساسيتين في المجتمع: طبقة العمال، وطبقة أصحاب رأس المال، وقد تفسر وجهة النظر تلك جزئيا سبب تباطؤ القادة السوفييتيين في استثمار عداء العالم الثالث للإمبريالية؛ مـن أجل تحقيق مكاسب سياسية؛ ذلك لأنهم يرون أن دول العالم الثالث إما أن تكـون مـع الثـورة العمالية، أو ضدها، ولا يمكن أن يكون هناك موقف وسط بين هاتين الحالتين.[1]

[1] محمد أحمد علي مفتي، **نماذج السياسة الخارجية النسق العقدي السفياتي**، متوفر على الرابط التالي : http://www.alukah.net/culture/0/65924/

المبحث الثالث: الجيوبولتيك الروسي بعد نهاية الحرب الباردة: أي انتقال ؟

إن انهيار الإتحاد السوفييتي قد أدى إلى إعلان جمهورية روسية الاتحادية واستقلال دول الكومنولث ما أدى إلى تدهور الدولة داخليا وخارجيا، هذا الوضع فرض عليها إعـــادة انتهـــاج سياسة جديدة مبنية على أهداف جديدة محاولة استعادة مكانتها الخارجية انطلاقا من محاولتهـــا للوصول إلى المياه الدافئة وفرض هيمنتها على دول القوقاز الغنية بالثروات الطبيعية كل هـــذا سنفصل فيه في هذا المبحث.

المطلب الأول:الحفاظ على الأمن القومي الروسي وتطوير العلاقـــات مـــع كومنولث الدول المستقلة.

لعل الحفاظ على الامن القومي الروسي ووحدة الأراضي الروسية مـــن أهـــم أهـــداف الاستراتيجية الروسية، وتكمن أهميته في عدة معطيات، أبرزها: أن اتساع الأراضي الروســـية والمطلب السيادي المتعلق بها قد واجها تحديا خطيرا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، فهناك أراضي كانت روسيا تنظر إليها دائما على أنها جزء منها، ولعل أهمها جمهوريـــات البلطيـــق الـــثلاث (استونيا، ليتوانيا، ولاتفيا) التي انفصلت، على ما يبدو، وفق تسويات ما بعد الحـــرب البـــاردة، بسبب الإرث المشترك. بعد كل هذا، كان لابد للاتحاد الروسي من أن يوفر الدفاع عـــن وحـــدة أراضيه، لاسيما أن هناك مناطق هشة يمكن أن يوجه نحوها جهد لاقتطاعها أهمهـــا مقاطعـــة كالينينغراد (بروسيا الشرقية سابقا) التي أصبحت تفصلها الأراضي الروسية دول جديدة، مثـــل دول البلطيق الثلاث وبيلاروسيا.[1]

كذلك تزايد حدة النزاعات الانفصالية، التي تشكل الأزمة الشيشانية أبرز مثال لهـــا، إذ تعد بالنسبة إلى روسيا من أهم الأزمات وأخطرها في هذه المرحلة. إن تفاقم أزمة الشيشان قـــد يفضي إلى انجرار جمهوريتي انغوشيا وداغستان الاتحاديتين إلى الاتجاه الانفصالي نفسه، وعند

---

[1] لمى مضر الامارة، **الاستراتييجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية**، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية) ص.223.

ذلك ستتهدد وحدة الأراضي الروسية في منطقة القوقاز لما لهذه الأخيرة من أهمية كبيرة عند روسيا، ولما لإطلالة جمهورية داغستان على بحر قزوين من مزايا اقتصادية واستراتيجية.

أيضا خطورة بعض مطالبات ونزاعات الحدود على وحدة الأراضي الروسية، كما إن النزاع مع اليابان بشأن جزر الكوريل يلقي بظلاله على العلاقات بين الطرفين.

وضمن هذه المعطيات أيضا الخطورة الناجمة عن تزايد نسبة الأعراق الأجنبية الطارئة من وراء الحدود (لاسيما في سيبيريا الجنوبية)، ويصح هذا بتزايد عدد ذوي الأصول الإثنية الصينية والكورية، الأمر الذي قد يتفاقم بشكل يهدد وحدة الأراضي الروسية.[1] مع أن الشعب الروسي لم يسعى أبدا إلى إقامة دولة وحيدة الإثنية متجانسة عرقيا بل سعى دائما للحفاظ على هويته الحضارية.

وبالتالي فإن التمسك بالهوية إنما هي أداة للوقوف أمام وجه الانتشار الشامل للنموذج اللبرالي الغربي مثلما دأب سابقا النظام الشيوعي والسوفييتي على الحيلولة دون التوسع الثقافي للغرب نحو الشرق.

لقد انصرف الإدراك الروسي على اعتبار أي تهديد للجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفييتي أو أي تهديد ينطلق منها باتجاه روسيا يمثل تهديدا خطيرا للأمن القومي الروسي، وعلى هذا الأساس تم إنشاء كومنولث الدول المستقلة في ديسمبر 1991 رغبة في المحافظة على الروابط الإستراتيجية الثابتة مع هذه الدول وإظهار دور روسيا البارز ضمن الكيان الجديد. وفي هذا السياق سعت روسيا إلى تدعيم الاستقرار وتسوية النزاعات المحلية وبالتالي تدعيم أمن روسيا وبلدان الرابطة.[2]

إن استغلال الجمهوريات التي كانت خاضعة للاتحاد السوفييتي السابق كان يعني لموسكو أن الحدود الجنوبية لروسيا انحصرت شمالا، ما يزيد عن الألف ميل في بعض المواقع

---

[1] مرجع سابق.

[2] نجاة مدوخ، **السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة: دراسة حالة سوريا (2010-2014)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية،فرع علاقات دولية واستراتيجية، بسكرة جامعة محمد خيضر كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية،2015.ص.57.72.

يضاف إلى ذلك سيطرة هذه الدول على موارد نفطية هائلة، كانت حتى وقت قريب تحت سيطرة الحكومة المركزية في موسكو.

ويقابل ذلك انشغال روسيا بمشكلاتها الداخلية، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في هذه الجمهوريات الجديدة، الأمر الذي جعل الباب مفتوحا على مصراعيه للتنافس بين القوى الإقليمية والدولية للنفاذ إلى هذه المنطقة الحساسة وجذبها بشتى المغريات، سواء كانت مغريات معنوية كاللغة والقيم المشتركة أم مغريات اقتصادية، ومحاسن التبادل التجاري والتعاون في المجالات التكنولوجية والأمنية والعسكرية. ليس هذا فقط وإنما نرى في المقابل أيضا رغبة الدول المستقلة في أن تزايد إلى أعلى حد ممكن الحضور الاقتصادي للرأسمال الأمريكي والأوربي واليابان، على أراضيها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى تسريع تنميتها الاقتصادية وتعزيز استقلالها.[1]

المطلب الثاني: الهيمنة الروسية على سوق الطاقة.

يشهد العالم منذ ما قبل الألفية الثالثة،و خاصة في قارتي آسيا و أوروبا،ما يسميه خبراء و محللون إستراتيجيون حرب الغاز العالمية، و يلاحظ هؤلاء أن هذه الحرب قد استعرت بشدة مع اقتراب نضوب احتياطيات النفط في عدة مناطق من العالم،و أيضا مع تزايد الاعتماد العالمي على الغاز الطبيعي كأحد أهم مصادر الطاقة النفطية.

ومع بداية عصر الاكتشافات البترولية في الشرق الأوسط،أصبح البترول والغاز من الأدوات الرئيسة بيد أصحاب القرار لتحقيق أهداف سياسات دولهم، كما أن ازدياد اعتماد دول العالم على الطاقة من البترول والغاز واعتماد اقتصاديات دول المنطقة على صادراتها منها، زادت أهمية خطوط نقل البترول والغاز التي تحولت من مجرد وسيلة نقل للوقود إلى شرايين حياة للأنظمة الحاكمة، ووسائل ضغط ومساومة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية وبذالك تحول مد تلك الخطوط إلى وسيلة رئيسة لزيادة نفوذ الدولة و النظام الحاكم على المستويين الإقليمي

[1] لمى مضر الامارة، مرجع سابق. ص. 237.

والعالمي وصار بالتالي من المنطقي ان تتحول خطوط البترول والغاز إلى أهداف رئيسة لأي قوى تريد الضغط على حاكم أو إسقاط نظام حكم.

كما يمثل الغاز الطبيعي اليوم ساحة صراع دولي وتنافس جيوسياسي بين الدول الكبرى، وقد تجلى الأمر بصفة أساسية في سعي الغرب لكسر الهيمنة الروسية على سوق الوقود الأزرق في أوروبا، فشجع على الاستثمار في دول واعدة، ودخل في مشروعات واعدة لتشييد نقل الغاز من منابعه في آسيا الوسطى والقوقاز باتجاه أوروبا.

وفي المجمل تحركت بخطوات وئيدة سوق الغاز الدولية في السنوات الأخيرة، في نطاقاتها الثلاثة الرئيسة وهي: الأسواق المحلية الوطنية، والأنابيب العابرة للقارات، والشحنات المسالة.

تحركت الأسواق المحلية بفعل الطلب الكبير على الطاقة، ونمو الصناعات التحويلية وخاصة البتر وكيماوية كما تحرك مسار الأنابيب العابرة للقارات بفعل التحول الكلي في سوق الطاقة، وحسابات الجيوبوليتيك المتحول على نحو كبير، أما الشحنات المسالة فقد زادت من حصتها في السوق بفعل الطلب،ودخول شركات كبرى في مشروعات واسعة للتسييل.

وفي المحصلة حدث تحول عام في اتجاهات السوق و بنيته، وخصائصه، وهذا التحول هو الآن في طريقه إلى مزيد من التبلور والتجذر.[1]

أن تصورا أكثر قربا لواقع التحولات القائمة أو المحتملة يتطلب التوقف عند أمرين رئيسين هما: الاحتياطات العالمية الثابتة، وآلية عمل السوق وهناك وفرة نسبية على صعيد الاحتياطات العالمية من الغاز الطبيعي، إلا أن صناعته إنتاجا و تصديرا، لا تتناسب مع حجم هذه الوفرة.

---

[1] احمد علي،،**حرب انابيب الغاز العالمية بين المصالح و الهيمنة**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A8

وفي العام 2010 قدر حجم احتياطي الغاز الطبيعي العالمي بـ 187,1 تريليون متر مكعب، وقد سيطر الشرق الأوسط ومناطق الاتحاد السوفيتي السابق بما في ذلك روسيا على 72% منه.

ووفقا للمؤاشرات المثبتة عام 2010 تحتل روسيا المرتبة الأولى على صعيد الاحتياطات المؤكدة من الغاز الطبيعي بواقع 44,8 تريليون متر مكعب، تليها إيران بواقع 29,6 تريليون متر مكعب و جاءت قطر في المرتبة الثالثة 25,3 تريليون متر مكعب، والسعودية في المرتبة الرابعة 8 تريليونات متر مكعب، وترمكستان في المرتبة الخامسة باحتياطي مساو لاحتياطات السعودية والولايات المتحدة في المرتبة السادسة بـ 7,7 تريليونت متر مكعب، ودولة الإمارات العربية المتحدة في المرتبة السابعة (6 تريليونات متر مكعب).

وفي الثالث والعشرين من ديسمبر عام 2008 تأسس منتدى الدول المصدرة للغاز، الذي جاء كبديل لتجمع غير رسمي تشكل عام 2001 تحت الاسم نفسه ويضم المنتدى 12 دولة وهي روسيا وقطر ومصر، الجزائر وإيران وليبيا، نيجيريا وفنزويلا وترينداد توباغو وغينيا الاستوائية وسلطنة عمان، وتمتعت حينها كل من النرويج وهولندا وكازاخستان ودولة الأمارات العربية المتحدة بصفة مراقب في هذا التجمع.

وتمتلك دول المنتدى سابقة الذكر ما يزيد على 70% من احتياطات العالم من الغاز الطبيعي، ويبلغ إجمالي إنتاجها السنوي نحو 40% من الإنتاج العالمي وتسيطر على نحو 38 من الغاز المصدر عبر 85% من صادرات الغاز المسال.[1]

وقد نظر لصيغة منتدى الغاز على انه طرح توافقي بين رؤيتين دعت الأولى لمنظمة على غرار(أوبك) يجري فيها تحديد حصص استخراج الغاز حتى يكون بالمقدور رفع أسعاره، إما الرؤية الثانية فقالت التركيز على تنفيذ مشروعات مشتركة في استخراج الغاز وصناعته، وطرق نقله إلى الأسواق الدولية.

[1] عبد الجليل زيد المرهون، **اتجاهات سوق الغاز الطبيعي**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.alriyadh.com/1071002

وفي إطار تطورات سوق الغاز الدولية، بدأت خطوط النقل العابرة للأقاليم والقـارات، وقد هيمنت على جزء كبير من حركة هذه الأسواق و قامت روسيا بتنفيذ بعض هذه الخطـوط لتعزيز موقعها في سوق الطاقة الأوروبي على المدى البعيد و بعضها الأخر دعمه الأوروبيون والأمريكيون للحد من هيمنة الروس على سوق الطاقة الأوروبي كخيار استراتيجي، وقد باشرت روسيا بناء عدد من الخطوط لنقل الغاز إلى شمال أوروبا و جنوبها، وإلى منطقة البلقان وتركيا وابرز هذه الخطوط (السيل الشمالي) و(السيل الجنوبي)، اللذان يتجهان إلى أوروبا عبر بحـر البلطيق والبحر الأسود.[1]

السيل الشمالي الذي افتتح في 2011 يتجه عبر بحر البلطيق نحو ألمانيا مباشرة بطول 1224كلم، و يتشكل من أنبوبين طاقة كل منهما التمريرية 27,5 مليار م3 سنويا، وبواسـطته ستتمكن روسيا من نقل غازها إلى كل من الدنمارك وهولندا وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا وبولندا وتشيكيا، ودول أخرى انطلاقا من ألمانيا، وسيوزع الغاز على نحو 26 مليون منزل في أوروبا، أما السيل الجنوبي فانطلق في 2007 كمشروع مشترك بين شركتي (ايناي) الايطالية و(غاز بروم) الروسية إلى جنوب أوروبا ووسطها عبر البحر الأسود وبلغاريا ويبلغ طول هذا الخـط 900 كيلومتر، وتصل طاقته التمريرية إلى 63مليار متر مكعب سنويا، وكان من المقرر انجازه قبل نهاية عام 2013 وهو يمثل المشروع الروسي المنافس لخط (نابكو).

وقد تمكنت روسيا من تكريس نفسها كقوة مصدرة للطاقة، وخصوصا أن أرضـها الغنية بالموارد الطبيعية تحتضن اكبر احتياطي غاز طبيعي في العالم، و احتياطي نفط هائلا ما سمح بتطور اقتصادي لافت للبلاد وعظم أهمية الاقتصاد السياسـي فيهـا، وجـاءت السياسـة الاقتصادية الروسية في الأعوام التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي، مرتكزة على كيفية تعزيـز أمنها الاقتصادي قبل كل شي عبر مصادر الطاقة من هناء بدأت بتوسـيع أسـواقها وتطـوير مشاريعها، ولم تكن الأزمة الأوكرانية إلا مثلا لإثبات صوابية هذه الإستراتيجية الروسية، فورقة

[1] مرجع سابق.

الطاقة هي إحدى أبرز أوراق القوة التي تملكها، وعبرها تمكنت رغم العقوبات الغربية عليها من فرض المزيد من النفوذ.[1]

المطلب الثالث: السعي إلى تعزيز النفوذ الروسي في الفضاء السياسي للاتحاد السوفياتي السابق.

في 24 جانفي 2000،صدرت وثيقة موقعة من الرئيس الروسي **فلادمير بوتين** تتضمن مفهوم الأمن القومي الروسي من خلال منظومة متكاملة لضمان الأمن للمجتمع والدولة ضد المخاطر الداخلية والخارجية،في ظل التأكيد على أن روسيا واحدة من الدول الكبرى وأنها ذات موقع أوربي/آسيوي مهم،وذات قدرات علمية وتقنية وقدرات عسكرية كبيرة،ومن ثم فهي ستواصل دورها في السياسة الدولية.رغم مشكلاتها الداخلية،وعبرت الوثيقة عن رفضها للإستراتيجية الأمريكية للسيطرة العالمية،وتوسع حلف الناتو شرقا،وعزم موسكو للدفاع عن مكانتها الدولية،ومقاومة المحاولات الأمريكية لإضعافها وعزلها.

وتحاول روسيا في استعادة وضع التوازن السياسي والاقتصادي في منطقة آسيا الوسطى،وتحاول الحد من سعي الولايات المتحدة الأمريكية الدءوب للانفراد بدول المنطقة،ومحاولة جذب جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز للسير في فلكها،وتشجيعها للانضمام إلى حلف الناتو بهدف تطويق روسيا الاتحادية جغرافيا وعسكريا لإضعافها دوليا بوصفها مركزا دوليا مؤثرا وإضعاف دورها في منطقة آسيا والقوقاز.

وركزت القوات المسلحة الروسية على بناء قوات تكفي للتصدي للتهديد المحتمل بهدف توليد إدراك لدى العدو المحتمل أن خسائره سوف تزيد بصورة مؤكدة من المكاسب التي يمكن أن يحققها في حالة الهجوم.[2]

---

[1] لور الخوري، **غاز روسيا مفتاح نفوذها**. متوفر على الرابط التالي:
http://al-akhbar.com/node/220742

[2] لطفي السيد الشخ،**الصراع الأمريكي والروسي على آسيا الوسطى**(مصر:دار الأحمدي للنشر،2006).ص.ص136-137

أصبحت روسيا في قلق شديد من إمكانية فقدان نفوذها في المنطقة في مقابـل القـوى الاقليمية،وقد أكد بعض الساسة الروس أن هذا الفراغ يجب أن تملأه القوة الروسية،وهذا القلـق الروسي أدى إلى حدوث توافق جديد بين الساسة الروس فيما يتعلق بالتعامل مع قضايا المنطقة لمنع نفوذ الآخرين وتسللهم في حالة الغياب الروسي. في هذا الاتجاه، عادت روسيا إلى استخدام لرؤيتها التقليدية والتي تقوم على استعادة سيطرتها وقوتها على حدودها السابقة، وفق هذه الرؤية تم طرح مسألة إعادة إحياء الامبراطورية باستخدام كافة الامكانات السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية،ويرى السياسيون المؤمنون بهذه الرؤية أن روسيا مازالت لها مصالحها الخاصة فـي آسيا الوسطى،ويجب أن تتواجد في هذه المنطقة بشكل فعال وتحـذرها مـن تـأثير العوامـل الخارجية.إن روسيا تعمل على عدم وصول عمليات العنف التي قد تحدث فـي منطقـة آسـيا الوسطى إلى حدودها.لقد دفع الفراغ السياسي الاستراتيجي، الذي نتج عن فشـل الايديولوجيـة الشيوعية والدعاية الغربية الشديدة ضد الراديكالية الإسلامية؛ روسـيا لأن تنظـر للأصـولية الإسلامية كخطر رئيسي يهدد مصالحها القومية.وقد تسببت أخطار الأزمة في طاجكستان فـي ظهور تخوف بين الساسة الروس من إمكانية تحول هذه الأزمـة إلـى حـرب تشـبه حـرب أفغانستان، أو يتنامى خطر ازدياد نفوذ الأصولية الإسلامية في المنطقة بإنشاء دولة أو حكومـة إسلامية بطاجكستان، ولذلك تم التأكيد على ضرورة الأمن في الحدود الجنوبية،وتم إرسال قوات روسية إلى المنطقة لهذا الغرض،وبعد عودة الاستقرار إلى المنطقة أوصى بعض الساسة الروس بأنه لا يجب معارضة الإسلام بشكل كامل في المنطقة،بل يجب الحفاظ علـى وضـعيته فـي المنطقة والتحكم فيه والتقليل من تسلله ونفوذه قدر الإمكان. وطبقا لذلك، فإن روسيا تتخـذ مـا يسمى بالتهديد الإسلامي كذريعة لشرعية وأحقية التدخل بكل السبل في نطاق نفوذهـا السـابق. وتعمل السياسة الخارجية الروسية الآن للتأكد من تحقيق هدف رئيسي وهو ألا يصـل الإسـلام السياسي إلى درجة من القوة والانتشار يعرض معها مصالحها لخطر شديد ويوجه ضربة ساحقة للنفوذ الروسي في منطقة آسيا والقوقاز.[1]

[1]،مرجع سابق.ص.ص.138،143-144.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : القوقاز في الجيوبولتيك الروسي لما بعد الحرب الباردة:الفرص و التحديات

تعتبر روسيا الاتحادية واحدة من القوى الدولية الأساسية على المسرح الدولي لأنها تتوفر على مجموعة من عوامل القدرة المؤهلة للقيام بهذا الدور، فبفضل خصائصها الجغرافيا وإستراتيجيتها العسكرية، التي مكنتها من كسب العديد من المناطق المهمة في العالم على غرار منطقة القوقاز، التي تحتل موقعا استراتيجيا مهما جعلها محل اهتمام روسيا.

وعليه فمنطقة القوقاز هي نقطة اتصال بين أوروبا وآسيا كونها منطقة غنية بمختلف أنواع الطاقة و المعادن الطبيعية، وعليه فالقوقاز في الجيويولتيك الروسي قد أخذ اهتمام كبير بسب ظهور دول أخرى تطمع في السيطرة وامتلاك هذا الإقليم.

المبحث الأول : في التعريف بمنطقة القوقاز وأهميتها الجييوبولتيكية

سوف نتناول في هذا المبحث التعريف بمنطقة القوقاز وأهميتها الجيوبولتيكية فهي تتميز بجغرافية مهمة خلال أمتداد جبالها، كما تقسم منطقة القوقاز إلى منطقتين " شمال القوقاز وجنوب القوقاز" حيث تظم مجموعة من الدول تتمثل في أرمينيا، وجورجيا وأذربجان كل دولة من هذه الدول تتمتع بأهمية خاصة جعلتها محل أطماع النظام الروسي.

المطلب الأول: التعريف بالقوقاز ودوله المستقلة عن الاتحاد السوفياتي.

إن القوقاز يؤخذ على أنه كيان جيوبولتيكي والذي يعتبر سلسلة من جبال عالية تغطـــي 1200 كلم تقريبا ويصل ارتفاعها إلى أكثر من 5600 متر كما تقع بين البحر الأسود وبحـــر قزوين الذي كان سابقا جزءا لا يتجزء في مجمله من الاتحاد السوفيتي.[1]

القوقاز كما تورده دائرة المعارف البريطانية هي تسمية لاتينية مشتقة مـــن قاوقـــازوس kaukasus التي وردت في كتابات المـــؤرخين والجغـــرافيين الإغـــريقيين القـــدامى مثـــل: "هيرودتس'' وبعده "استرابو" وتنتمي التسمية الروسية ققفاس kavkas الى الأصل نفسه ويعتقد أن التسمية من أصل قازقاز kazkaz هي التسمية التي كان الحيثيون يطلقونهـــا علـــى ســـكان الساحل الجنوبي من البحر الأسود. وفي المصادر العربية، وبخاصة معجم البلدان يطلق ياقوت الحموي إسم القبق على تلك الجبال.[2]

أجمع علماء وصف الشعوب والأجناس البشرية على انه لا توجد اية علاقة تربط بـــين شعوب القوقاز والروس ،وأكدوا أن بلاد القوقاز كانت مصدرا ومهدا للجنس الأبيض ،ونســـبوا إليها جميع البيض سكان آسيا و أوربا وأسموهم بالجنس القوقازي ، وينطوي تحت هذه السلالة الجامعة سكان الجزيرة العربية وإيران وسكان شمال افريقيا وغربها.

[1] Nader jalillosoltan le caucase et les enjeux petroliers caspienne,afri,v.2,2002.p.109.
[2] محمود عبد الرحمان،تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي (لبنان:دار النفائس،1999).ص.7.

تقع منطقة القوقاز بين البحر الأسود وبحر آزوف من الغرب، وبحر قزوين من الشرق، وتمتد شمالا حتى حوض ماينتش ونهر القوما، وجنوبا حتى السفوح الشمالية لهضبة أرمينيا تبلغ مساحة القوقاز 170 ألف ميل مربع 400 ألف كيلو متر مربع. [1]

يتميز القوقاز بجغرافيته البشرية والتي يصعب اختراقها والتي لطالما كانت مطاردة من قبل الشعوب المجاورة أو البعيدة على غرار تركيا، الفرس، العرب، وروسيا والذين وجدوا فيها ملاذا تاريخيا حيث تتميز بالتنوع العرقي هذا ما يجعل شعوب القوقاز تتحدث بأكثر من خمسين لغة وتعتنق ديانتين بالمقام الأول الإسلام والمسيحية دون الديانات الكبرى الأخرى (اليهودية والبوذية) والتي هي غائبة تماما. هذا التنوع العرقي سبب في التوترات والأزمات داخل الدول المجاورة فهو يثير مسألة الأقليات. هذه التوترات هي أساسا من أجل الهوية وما يوضح ذلك المطالبات العرقية القومية والكراهية المتبادلة بين بعض من الجماعات المنتمية لهذه العرقية الفسيفساءية.[2]

وينقسم اقليم القوقاز تقليديا إلى منطقتين : شمال القوقاز ومنطقة عبر القوقاز ــ جنوب القوقاز ــ و حتى عام 1990م كان الاتحاد السوفيتي يضم كل اقليم القوقاز ،أما اليوم فيعتبر إقليم شمال القوقاز جزءا من الفدرالية الروسية وينقسم إلى ثلاث مناطق: منطقة شمال الغرب تضم جمهوريات أديغيا وكراتشاي-شركسيا وأراضي منطقة ستافروبول ومنطقة شمال الشرق وتضم جمهوريات الشيشان و الإنغوش وداغستان. وفي بحثنا هذا سنسلط الضوء على جمهوريات القوقاز المستقلة وهي **جورجيا** و**أرمينيا** و**أذربيجان**.[3]

1. أذربيجان :

كان اقليم أذربيجان عبر التاريخ ينتمي إلى منطقة اسيا الغربية التي كانت تضم أذربيجان والإمارات الواقعة شمال غرب ايران. ألحقت منطقة أذربيجان في القرن الثامن قبل الميلاد

[1] مرجع سابق.ص.8

[2] - Nader jalillosoltan, Op. p109

[3] - **القوقاز من منتصف القرن الثامن عشر الى بدايات القرن العشرين**، متوفر على الرابط التالي:
http://sjoseph.ucdavis.edu/ewic/ewic-arabic-translation/all-files/caucasus.pdf

بإمبراطورية مداس mèdes ثم الى الامبراطورية الفارسية. تعرضت أذربيجان في القرن الثامن الميلادي لغزو العرب مما ادى الى انتشار الاسلام بين الأذربيجانيين ،كما تعرضت لغزو الأتراك وخضعت للسلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي حيث اصبح السكان يتكلمون اللغة التركية ،لقد كانت أذربيجان محل نزاع بين الفرس والأتراك لمدة قرنين إلى ان غزت روسيا المنطقة في القرن التاسع عشر بعد تخلي الفرس عنها بعد توقيع معاهدة جولستان في 1813 ومعاهدة تركمانشاي في 1828. اعلنت أذربيجان نفسها جمهورية مستقلة في 1918 ولكن سرعان ما تم غزوها من قبل الجيش الأحمر الروسي وألحقت كجمهورية تابعة للاتحاد السوفيتي عام 1920 وأصبحت تسمى منذ 1936 الجمهورية الاشتراكية الفيدرالية في اطار الاتحاد السوفيتي الى غاية تفككه وإعلانها الاستقلال عام 1991م. عاصمتها باكو وهي عضو في كومنولث الدول المستقلة. تتبنى جمهورية أذربيجان نظاما رئاسيا بناء على الدستور الذي تعتمده بموجب استفتاء 1995،بناء على هذا الأخير يعتبر رئيس الجمهورية رئيسا للدولة ويتم انتخابه عن طريق الاقتراع العام المباشر لمدة خمسة سنوات.[1]

تقع أذربيجان على السفوح الجنوبية الشرقية لجبال القوقاز،تبلغ مساحتها الإجمالية 86600 كيلو متر مربع. يحدها من الشرق بحر قزوين ،ومن الجنوب جمهورية ايران ،ومن الجنوب الغربي تركيا ،ومن الغرب أرمينيا ومن الشمال الغربي جورجيا ،ومن الشمال الاتحاد الروسي. أما جمهورية ناختشيفان ذات الحكم الذاتي التابعة لجمهورية أذربيجان فتقع في جنوب غرب البلاد وتفصلها ارمينيا عن بقية البلاد.[2]

ويتواجد ما يقارب ال 43 في المائة من مساحة أذربيجان على ارتفاع يفوق الـ 1000 متر فوق سطح البحر .وتقسّم البلاد إلى خمس مناطق فيزيوغرافية رئيسية هي:

[1] عادل عباسي،"السياسة الروسية تجاه الجمهوريات الاسلامية المستقلة : فرصها وقيودها"،مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة (2007)،ص.109.

[2] أذربيجان، تقرير منظمة الفاو.ص.1. متوفر على الرابط التالي:
http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/AZE/AZE-CP_ara.pdf

- سلسلة جبال القوقاز الكبرى في الشمال والتي تمتد من البحر الأسود في الغرب وصولاً إلى بحر قزوين في الشرق ،وعلى طول الجزء الشمالي من أذربيجان وجورجيا والجزء الجنوبي من الاتحاد الروسي؛
- سلسلة جبال القوقاز الصغرى التي تقع جنوب جبال القوقاز الكبرى والتي تغطي جنوب جورجيا وأذربيجان وشمال أرمينيا؛
- الأراضي المنخفضة حول نهري كورا وأراكس؛
- جبال تاليش وأراضي لنكاران المجاورة لها في جنوب شرق البلاد ،والممتدة على طول الحدود مع جمهورية إيران الإسلامية؛
- جمهورية ناختشيفان الذاتية الحكم والتي تقع في جنوب غرب البلاد.

السكان الأصليون لجمهورية أذربيجان هم الأدريون ويسمون أنفسهم أذربيجان لار ،وهم ينحدرون من أصول تركية وخزرية وبلغارية ،وينتشر الأدريون في العديد من بقاع العالم مثل روسيا وإيران ،اوكرانيا وبعض الجمهوريات الإسلامية. يعتنق غالبية الأذربيجانيين الدين الاسلامي على المذهب الشيعي 80 % ،فضلا عن أعداد قليلة من السنيين المتمركزين في شمال أذربيجان ،أما لغتهم فهي الأدرية ذات الأصول التركية ،حيث تكتب مند الاستقلال بالحروف اللاتينية بعدما كانت بالحروف الروسية.

من حيث الاقتصاد بدأ اقتصادها يعرف تحسنا مند نهاية التسعينيات من القرن الماضي ،حيث وصل الناتج الداخلي الخام عام 2003 الى 7,1 مليار دولار ،وقد بلغت نسبة النمو 9% عام 2001 وهذا يرجع الى تزايد حجم الاستثمارات في مجال المحروقات.[1]

تعمل أذربيجان على الموازنة بين القطاع الزراعي و القطاع الصناعي. وتعتبر ادربيجان اكثر تصنيعا من ارمينيا وجورجيا ويعتمد قطاعها الصناعي أساسا على الصناعات المرتبطة بالنفط و الغاز اللدين يشكلان عصب اقتصاد أذربيجان والتي تعتبر من أقدم دول العالم في انتاج البترول. من أهم حقول النفط حقل شبه جزيرة أبشرون حول مدينة باكو وهو

[1] عادل عباسي، مرجع سابق،ص.110.

يمثل جزء من منطقة بترولية واسعة تمتد من الشمال الى خارج تراب الدولة ،بالإضافة الى آبار النفط والغاز الواقعة في بحر قزوين.[1]

.2 أرمينيا:

تبلغ مساحة أرمينيا 29800 كيلو متر مربع هي دولة غير ساحلية واقعة في منطقة القوقاز. تحدها من الشمال جورجيا وأذربيجان شرقا و ايران من الجنوب الشرقي وتركيا من جهتي الجنوب الغربي و الغرب.وحتى العام 1995 كانت ارمينيا مقسمة الى 37 مقاطعة ،أما اليوم فهي مقسمة الى 10 محافظات بالإضافة الى بريفان العاصمة. وهي بلد جبلي 77 % من اراضيه يقع على ارتفاع يتراوح بين 1000 و 2500 متر فوق سطح البحر ،[2] أما متوسط ارتفاع أرضها فيصل الى 1850 مترا. تبلغ أعلى قمة في البلاد 4095 مترا جبل اراغاتس ويعتبر 42 % من اراضيها غير صالح للسكن. تضم البلاد مزيجا معقدا من المرتفعات والهضاب والوديان النهرية والمنخفضات وتتسم بقلة مواردها على صعيد الاراضي والمياه و الغابات ،فضلا عن صعوبة الظروف الهندسية والجيولوجية في معظم بلدان المنطقة ،احتمال وقوع زلازل. كثرة التحركات الجيوديناميكية.

و تتميز أرمينيا بمناخ الهضاب القارية : صيف حار وشتاء بارد. أما موقعها الجغرافي وتكوينها الجبلي المعقد فيتحكمان بتنوع الظروف الطبيعية في ارجائها كافة ويصل عدد سكان أرمينيا الى 3 ملايين نسمة (2005) يعيش حوالي 36% منهم في المناطق الريفية. وتبلغ الكثافة 101 نسمة في الكيلو متر مربع.

تشير التقديرات الى أن حوالي نصف سكان يعيشون تحت خط الفقر. ويعتبر أهالي الريف أقل عرضة للفقر بسبب قدرتهم على توفير المواد الغذائية الأساسية بوتيرة مستقرة نوعا ما.[3]

---

[1] مرجع سابق.ص.110.
[2] أرمينيا،تقرير منظمة الفاو.ص.1. متوفر على الرابط التالي:
http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/arm/ARM-CP_ara.pdf
[3] مرجع سابق، ص.ص.1،3-4.

تعتمد أرمينيا على نهج اقتصادي قائم على أساس الابواب المفتوحة ،نهج لبرالي محـــدد في قانون حول حجم الاستثمارات الاجنبية منذ عام 1994. وسياسة الاستثمار هذه موجهة نحو التكامل لأرمينيا في الاقتصاد العالمي. وتحتل المرتبة 83 على مؤشر التنميـــة البشـــرية لعـــام 2007 في برنامج الامم المتحدة الإنمائي وهي أعلى نسبة بين جمهوريات القوقاز.

يعتمد اقتصاد أرمينيا على الاستثمار بشكل كبير والدعم مـــن الأرمـــن فـــي الخـــارج. وصناعة المواد الكيميائية او الالكترونيات و الآلات وتجهيـــز الأغذيـــة والمطـــاط الصـــناعي والمنسوجات ،وتنتج المناجم الأرمينية النحاس ،الزنك والذهب والرصاص ،والمصدر الرئيســـي للطاقة المحلية هي الطاقة الكهرومائية.

أما بالنسبة للنظام السياسي في أرمينيا فهو رئاسي جمهوري ذلك من خلال ديمقراطيـــة تمثيلية والنظام متعدد الاحزاب. تمارس السلطة التنفيذية من قبل الحكومة.

رئيس جمهورية أرمينيا هو رئيس الدولة ويضمن الالتزام بالدستور وينص على الأداء المنتظم للسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. وهو الضامن لسيادة جمهورية أرمينيا وسلامة أراضيها وأمنها. كما يتم انتخابه من قبل مواطني جمهورية أرمينيا لمدة خمس سنوات.[1]

أما ثالث دول القوقاز المستقلة فهي جورجيا ،والتي سوف نخصهاـــ نظرا لأهميتها فـــي الجيوبولتيك الروسي. بمبحث خاص.

المطلب الثاني: الأهمية الجيوبولتكية للقوقاز.

إن موقع القوقاز كبرزخ بين البحر الاسود بأهميته العسكرية وبحـــر قـــزوين بثرواتـــه الاقتصادية ،جعله نقطة اتصال ما بين أوربا ووسط آسيا ،وقنطرة عظيمة تصـــل بـــين آســـيا وأوربا، ولهذا يرشح الكثير من الباحثين هده المنطقة كأحد بؤر التنافس العالمي في القرن الواحد والعشرين، إن لم نقل المنطقة الأولى بعد الخليج العربي، حتى وصفت من قبل بعضهم بكونهـــا

[1] جمهورية أرمينيا،تقرير مجلس النواب(عمان: مركز الدراسات والبحوث التشريعية، 2014)،ص..ص.8،6.

خليج عربي ثاني،[1] ويعتبر المؤرخين القوقاز أهم مراكز التحركـــات السياســـية والاقتصـــادية والهجرات البشرية. وقد لعب القوقاز دورا بارزا في نقل الحضارات بين الشمال والجنوب، ويعد القوقاز أهم مناطق العبور للهجرات القديمة، إذ بانتهـــاء العصـــر الجليـــدي بـــدأت الهجـــرات الاضطرارية من الجنوب الى الشمال في وقت لم تكن فيه الطرق البحرية آمنـــة ومســـتخدمة، يضاف الى ذلك أن منطقة القوقاز كانت طريقا تجاريا ما بين الهند والصين ،من جهة ،وأوربـــا من جهة ثانية، وحتى بعد التوسع في استعمال الطرق البحرية، كنتيجة للكشوف الجغرافية، فإن ذلك لم يقلل من أهمية القوقاز ومكانته.[2]

تلك الموجات البشرية العابرة للقوقاز جعلت منه إقليما يتسم بتنوع عرقي كبير كمـــا أن القوقاز كان أرض الصراع الرئيسي بين الامبراطوريات (العثمانية، الفارسية، الروسية) فـــي القرن التاسع عشر، كانت حصيلة هذا الصراع أو ما يســـمى بحـــروب القوقـــاز أن ســـيطرت إسطنبول على جنوب القوقاز وهيمنت روسيا على شماله، إلى أن سقطت المنطقة برمتها لاحقا تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي. فضلا عما يحيط بالإقليم من الثروات والتي جعلت منه منطقـــة جيوبولتيكية حساسة من الطراز الأول.

وتأسيسا على ذلك، يمكن الإشارة إلى مزايا عديدة تتمتع بها المنطقة والتـــي يمكـــن أن يستفيد منها من يسيطر عليها:

- يتيح موقعها الإطلالة الأكثر سهولة والأقل تكلفة باتجاه اوربا.
- التقرب الى عمق روسيا من اتجاه الجنوب.
- إمكانية غلق مجال الأسطول البحري الروسي عند البحر الأسود، أو تعزيز هذا المجال بالنسبة لروسيا.
- الضغط على الدول المصدرة للنفط و الغاز والمستوردة لها، من خلال الـــتحكم بخطوط نقل الطاقة المارة عبر المنطقة.

---

[1] جلال خشيب، التوجهات الكبرى للاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة،الحوار المتمدن،ع.3818،2012. متوفر على الرابط التالي:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=319828

[2] محمود عبد الرحمان،مرجع سابق،ص.11.

- تمثل أحد مفاتيح الحركة باتجاه آسيا وأوربا، لاسيما أنها كانت ولاتـــزال تمثـــل واحدة من طرق الترانزيت المارة عبر المنطقة.[1]

كذلك نشير الى أسباب أخرى تجعل من منطقة القوقاز محل اهتمام القوى العالمية منها : الذخائر الضخمة للمعادن والنفط والغاز الطبيعي والفحم، كما ورثت هذه الدول منشآت ضـــخمة للصناعات العسكرية الثقيلة والخفيفة من الاتحاد السوفيتي السابق بعد تفككه. وتملك هذه الـــدول قاعدة كبيرة من العلماء والمتخصصين في كثير من المجالات الحيوية، منها الفيزياء، والكيمياء وصناعات الأسلحة بأنواعها.[2]

من هنا، نرى بأن إقليم القوقاز الحيوي نقطة الارتكاز الجيوستراتيجي، حسب أطروحات مستشار الرئيس كارتر للأمن القومي بريجنسكي في كتابه رقعة الشطرنج العظمى الذي أصدره عام 1998 باعتبار الاقليم، والذي تشكل جورجيا مركزه، وهي التي لا تتوفر لـــديها مقومـــات اللاعب الاستراتيجي، من حيث المشروع السياسي والمهارة اللازمة لتنفيذه، لكنها مع ذلك دولة مهمة بحكم موقعها الجغرافي الذي يمكن توظيفه كركيزة للاعب استراتيجي. هذا هو ما يـــدفع الولايات المتحدة نحوها من أجل حرمان روسيا من إحدى ركائزها التي تبقيها دولة ذات تـــأثير وذلك بالهيمنة على خطوط نقل الطاقة ومراكز الانتاج.

أما روسيا فقد شعرت بذلك الخطر الذي يقترب منها وعملت على إعادة رسم سياســـتها بما يمكنها من إبعاد الخطر أو الحد منه ،وبذلك كان خيارها ،جورجيا كحلقة في الصراع الجديد باعتبارها المجال الحيوي لها في الجنوب، كما أنها أوصلتها إلى مياه البحر الدافئة.[3]

---

[1] جواد صندل،"روسيا وجورجيا،النفط والجيوستراتيجية:منظور جغرافي سياسي"،مجلة ديالي ،ع.41، 2009. متوفر على الرابط التالي: http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=&17770

[2] مصباح الله عبد الباقي، **آسيا الوسطى والقوقاز الأهمية الاستراتيجية والواقع السياسي والاجتماعي،2013**. مركز الجزيرة للدراسات. متوفر على الرابط التالي: http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2013/09/2013924103853454636.html

[3] جواد صندل، مرجع السابق.

المطلب الثالث: طبيعة الاهتمام الروسي المستمر بالقوقاز.

أبدت روسيا، ومازالت تبدي اهتماما أكثر بالقوقاز، عسكريا، سياسيا واقتصاديا. وقد وضعت روسيا أعينها على القوقاز منذ عصر روسيا الكييفية (نسبة إلى كييف عاصمة اوكرانيا حاليا)، وفي عصر الإمارة الموسكوفية في بداية التاريخ القيصري كان محط الأنظار الروسية على الشيشان وداغستان في الأساس. ومضى الاهتمام على محورين متوازيين، الأول يهدف الى التوسع التدريجي البطئ للأراضي الروسية نحو الغرب بالاستعانة بالنشاط الفاعل لقبائل القوزاق الموالين لروسيا على الأراضي القوقازية. والمحور الثاني للتوغل الروسي على أراضي القوقاز والذي ارتبط بجورجيا، فعندما وقعت جورجيا بين مخلبي إيران وتركيا استعانت بروسيا، هذا ما مكن روسيا من التوغل أكثر في إقليم القوقاز.[1]

يتضح أن الأهمية الجيوسياسية والجيواقتصادية للمنطقة ككل ولإقليم القوقاز بشكل خاص كان وراء الاهتمام الروسي حتى انهيار الاتحاد السوفيتي. إلا أن الاهتمام أصبح أكثر عمقا لاسيما بعد تغير الخريطة الجغرافية والسياسية لروسيا والمنطقة وتبعه زيادة الوزن النسبي لإقليم القوقاز. ويعود ذلك للآتي:

1. قبل تفكك الإتحاد السوفيتي كانت المناطق الإسلامية في القوقاز تقع داخل الحيز الروسي ذاته. حيث شكلت كل من أرمينيا وأذربيجان وجورجيا تخوم عازلة لروسيا. أما بعد الانهيار السوفيتي فأصبح جنوب روسيا مكشوف للجيران.
2. كانت روسيا تصل إلى المياه المفتوحة من خلال أوكرانيا بسواحلها الطويلة في شمال البحر الأسود، وجورجيا بسواحلها في جنوب شرق البحر الأسود. إلا أن استقلال أوكرانيا وجورجيا أفقد روسيا نوافذها الساحلية التي كانت تطل منها، لذا فهي الآن غير مستعدة لأن تضحي بأي قدم بحري، حتى ولو كان على بحر مغلق كبحر قزوين، وجمهورية فقيرة كداغستان.

[1] مرجع سابق.

3. إن أحداث 2001 أدت إلى وصول القواعد العسكرية الأمريكية عنـد خاصـرة موسكو ،وصار القوقاز على مرمى من القوات الأمريكية، لاسيما بعـد توغـل القوات الأمريكية وحلف الناتو في أفغانستان ووصولها إلى دول آسيا الوسـطى أين أصبحت الثروة النفطية وخطوط نقلها تحت جناح الشـركات الاسـتثمارية الأمريكية والأوروبية هذه المبررات والهواجس جعلت من روسيا مستعدة لتعمل أي شئ في سبيل إبقاء الأراضي في الجنوب تحت سيطرتها.[1]

[1] مرجع سابق.

المبحث الثاني : أهمية منطقة القوقاز بالنسبة لروسيا.

تعد منطقة القوقاز من المناطق الغنية و الهامة ، فهي تحتوى على العديد من الثـروات الباطنية و الطاقوية ، حيث تسعى روسيا لها كبديل محتمـل لطاقتهـا مـن خـلال الشـراكة والاستثمارات ، فالطاقة تعتبر المحرك الرئيسي للاقتصاد الروسي ، ومن هنا تظهـر الأهميـة الجيوبولتيكية لمنطقة القوقاز في كونها تتوفر على جميع ما تهدف الإستراتيجية الروسية إلـى تحقيقه.

المطلب الأول : القوقاز معبر روسيا للظفر بالمياه الدافئة.

لطالما ورد في كثير من الكتب والدراسات (إن الدب يسعى إلى المياه الدافئـة)، لأن الذي يدرس الخريطة التي تحدد ملامح جغرافية روسيا سوف يكتشف أنها دولة قاريـة كبـرى تشغل مساحة في طرق أوربا، وتمتد في شمال آسيا لتصل إلى حدود القوى الكبرى فـي تلـك القارة الضخمة وهي تعاني تاريخيا وجغرافيا من البحار المغلقة أو المياه المتجمدة لـذلك فهـي تسعى دائما نحو البحار المفتوحة، وتتجه أحيانا إلى الجنوب الشرقي ولكن دائما إلـى الجنـوب الغربي لعلها تصل إلى الشواطئ التي تسمح لها من النواحي الاسـتراتيجية أن تنتصـر علـى الوضع الجيوبولتيكي، الذي فرضته الطبيعة عليها.[1]

ان اتجاه موسكو الى الجنوب سابق على اقامة الاتحاد السوفيتي وظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية، ذلك أن لهذه الاستراتيجية جذورا تمتد إلى القرنين الــ 18 و الــ 19، أي فـي مرحلة روسيا القيصرية التي تمددت في آسيا الوسطى ومنطقة القوقاز التي اعتبرتهـا حـديقتها الخلفية المؤدية إلى الجنوب، ذلك أن أبصارهما ظلت معلقة طول الوقت بالميـاه الدافئـة فـي الجنوب التي كان البحر الأبيض المتوسط رمزا لها.[2]

---

[1] مصطفى الفقي،مرجع سابق.
[2] فهمي هويدي ، **المياه الدافئة وراء الصراع بين مويكو وأنقرة.** متوفر على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/12/7/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A7%D9%81%D8%A6%D8%A9-%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A1-

بعد اسقلال دول القوقاز الجنوبي (أرمينيا أذربيجان جورجيا) باتـــت تمثـــل الحـــدود الدولية لــــروسيا مع الجيران، بعد أن كانت منطقة معزولة داخل البيت السوفياتي. هذا فضـــلا عن حرمان روسيا من منافذ بحرية هامة، إلى جانب حرمانها من سواحل أوكرانيا الطويلة.[1]

من جهة أخرى يمكن الحديث عن قرار الرئيس فلاديمير بوتين بإعادة نشـــر البحريـــة الروسية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، بهدف استعادة أمجاد الأسطول الروسي في عهد الاتحاد السوفيتي في المتوسط والبحار العالية، والسؤال المطروح هنا ما إذا كان هـــذا القرار يشكل فارقا استراتيجيا جديدا يعيد موسكو إلى المياه الدافئة.[2]

إن اللسان القوقازي الممتد بين قزوين والبحر الأسود شكلت أوديته السحيقة معبرا بـــين السهوب الباردة في الشمال والمياه الدافئة في الجنوب كما كانت معبرا بين الغرب الأناضـــولي والشرق الفارسي، وهذا التكوين الجغرافي جعل من المعبر تجمعا فريدا لأكبر عدد من الإثنيات والشعوب في أصغر رقعة أرض. وجورجيا مثل داغستان، مثل أذربيجان كلها نموذج مصـــغر للتعقيد القوقازي، فهي في آن واحد بلاد جبلية ومنطقة عبور، فالقوقاز ككل بمثابة عقب أخيـــل لــــروسيا أو عنقها، كما أن من يقرأ التاريخ الحربي الروسي عرف أنه تاريخ مفعم بولع شـــديد للوصول إلى المياه المفتوحة والدافئة، ولاسيما مياه البحر الأسود. ومع حرمان موســـكو مـــن النوافذ الساحلية التي فقدتها مع استقلال أوكرانيا وجورجيا وأذربييجان وأرمينيا، فإن روسيا غير مستعدة للتضحية بأي قدم بحرية، حتى ولو كانت على بحر مغلق كبحر قزوين، فكيف إذا كـــان في استطاعتها أن تستعيد سطوتها على المرافق الجورجية والقوقازية، ومن كانت وجهة جيوشها صوب ميناء غوري قبل أن تتطلع نحو تبليسي، وكانت مشكلتها أكبر مع أوكرانيا عندما حذرتها من حرمانها من امتيازات أسطولها في البحر الأسود.[3]

[1] أحمد الظرافي، **الحروب الروسية الصليبية ضد المسلمين في القوقاز**.متوفر على الرابط التالي:
http://www.mahaja.com/forum/showthread.php?5558-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9

[2] الجزيرة نت، **بوتين وحلم العودة إلى المياه الدافئة في المتوسط والأطلسي**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/12/6/

[3] أمين قمورية،"جورجيا نسيت الجغرافيا وسقطت في التاريخ"، مجلة الرأي الآخر اللبنانية،ع.25،2008.
http://www.rai-akhar.com/ar/index.php?option=com_content&task=view&id=649

كما أن الحرب الأخيرة بين روسيا وجورجيا كان أحد أسبابها أن مع محاولة جورجيا في الانضمام إلى حلف الناتو سيجعل البحر الأسود بحيرة أطلسية، إذا ما أخذنا في الاعتبار رغبة أوكرانيا هي الأخرى في الالتحاق بالحلف، وسيطرة تركيا،العضو في الناتو، على الجزء الجنوبي من البحر الأسود. ما يعني إنهاء حلم روسيا في أن تبرز كقوة عظمى من جديد عبر وصولها للمياه الدافئة.[1]

في الوقت الراهن يرى فهمي هويدي كاتب وصحفي مصري متخصص في شؤون وقضايا العالم العربي أن حلم القياصرة في الوصول إلى المياه الدافئة صار أقرب إلى التحقيق، كـإيران الجارة الكبرى تم تحييدها وعلى تفاهم مع موسكو، ثم إن روسيا مطلوبة ومرغوبة من جانب النظام السوري، وثمة تفاهم ومصالح مشتركة بين القاهرة وموسكو،ليس ذلك فحسب وإنما صارت مصر مشتبكة وعلى خصام مع تركيا وهي التي وقفت إلى جانب السلطة العثمانية ضد الروس أثناء حرب القرم في منتصف القرن19.

ولا يقل أهمية عن كل ما سبق أن الولايات المتحدة لم تعد مشغولة كثيرا بما يحدث في المنطقة بعدما حصرت اهتمامها وركزته على مواجهة تطلعات الصين، أما أوربا التي كانت تقف بالمرصاد لتطلعات القياصرة الروس فإنها أصبحت مشغولة بحسابات القارة واستقرارها، لدرجة أنها لم تفعل شيئا يذكر لاحتلال روسيا شبه جزيرة القرم في جنوب أكرانيا.

روسيا الآن لم تعد فقط تتطلع إلى المياه الدافئة، وإنما أصبحت تتمدد على شواطئها في سوريا، ولم تكتف بتكثيف وجودها العسكري على الأرض والجو، وإنما عمدت إلى إقامة القواعد طرطوس واللاذقية وثمة حديث عن تجهيزها قاعدة ثالثة قرب حمص. [2]

---

[1] مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، **أبعاد التدخل الروسي في جورجيا**. متوفر على الرابط التالي: http://wetpaint.ecssr.com/Kentico82/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%86%D8%A9/%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%AF-

[2] فهمي هويدي،مرجع سابق.

المطلب الثاني: السعي الروسي للسيطرة على شبكات نقل الطاقة البديلة العابرة للقوقاز.

تعد إحدى النتائج الجيوبوليتيكية الهامة لانهيار الاتحاد السوفييتي تزايد كثافة التنافس التجارى والسياسى للسيطرة على موارد الطاقة الهائلة لدول وسط آسيا والقوقاز حديثة الاستقلال والقابلة للاختراق. فموارد الطاقة هذه، وخاصة النفط والغاز الطبيعي، أصبحت هى الآن سبب النزاع في آسيا الوسطى مما يؤدى وفقاً لآراء المحللين، لبداية فصل جديد فى اللعبة الكبرى للسيطرة على آسيا الوسطى كذلك، فإن الأسس المتضمنة في هذا النزاع لاتزال كما هي، مثل القوة والنفوذ والأمن والثروة، إلا أن حقل اللعب الجديد أوسع تعقيدا من خلال سلسلة من المشاكل التي تتضمن الصراع بين دول الاقليم ذاتها وعدم الاستقرار السياسى والتنافس الشديد بين التكتلات متعددة الجنسيات ونقص الخبرات الاقتصادية والبنية القانونية الأساسية والأكثر من ذلك، حقيقة أن الثلاث دول التى تتقاسم أغلبية موارد الطاقة في الإقليم، وهي : كازاخستان وأذريبجان وتركمنستان، هي دول حبيسة مما يجعلها تعتمد على الدول المجاورة لها كوسيط للوصول إلى الأسواق الغربية. وينبغي القول أن جوهر هذه اللعبة الجويبولتيكية الجديدة في آسيا الوسطى مزدوج. الأول، هو السيطرة على إنتاج النفط والغاز، والثاني السيطرة على أنابيب البترول التي ستقوم بنقل الغاز إلى الأسواق الغربية ومن وجهة نظر جيوبوليتيكية، فإن آسيا الوسطى كانت دائما هامة، فمنذ وسط إلى نهاية القرن التاسع عشر– حين كانت المنطقة جزءا من الإمبراطورية الروسية – فإن المناطق المنتجة للبترول فى باكو كانت تنتج نصف الإنتاج العالمي من البترول. وفي الحرب العالمية الثانية، خلال حملة هتلر ضد روسيا، فإنه حاول أن يستولي على باكو وحقول نفط القوقاز كجزء من استراتيجية للسيطرة على العالم. وبعد الحرب أبقى السوفييت على هذه المناطق كاحتياطي واختاروا أن يستغلوا النفط الموجود فى التربة الروسية فى تترستان وسيبيريا.[1]

---

[1] **تحليل استراتيجية النفط .** متوفر على الرابط التالي:
http://www.ru4arab.ru/cp/eng.php?id=20050119172228&art=20050130121630

وتبع سقوط الشيوعية أن الدول السوفييتية السابقة في وسط آسيا، خاصة أذربيجان وكازاخستان، سعت إلى استغلال مواردها الطبيعية، حيث إنها تعتبر النفط الوسيلة الأساسية لتأمين استقلالها الاقتصادي والسياسي ووفقا للتقديرات الجيوبولتيكية، فإن احتياطي نفط بحر قزوين قد لا يكون قابلا للمقارنة من حيث الكمية بنفط الخليج العربي، لكنه يظل ذا درجة جودة ممتازة وقادرا على أن يقدم بديلا مميزا كمصدر للطاقة في القرن الواحد والعشرين، خاصة وأن التقديرات ترى أن بحر قزوين عبارة عن بركة مليئة بالنفط والغاز الطبيعي تبدأ من أذربيجان وتستمر إلى الضفة المعاكسة في أراضي كازاخستان وتركمنستان، وهذه الاحتياطات لها أهمية كبيرة حيث كان من المتوقع أن تنضب احتياطات ألاسكا وبحر الشمال بحلول العام الماضي.[1]

وتتمتع منطقة آسيا الوسطى والقوقاز كما ذكرنا بموقع استراتيجي هام وثروات طبيعية كبيرة، جعلتها مركزا للتنافس الدولي والإقليمي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وتكتسب الطاقة أهميتها كمحرك للاقتصاديات الغربية التي تعاني من أزمة اقتصادية طاحنة. ومن هنا فإن السيطرة على الغاز وعلى خطوط نقل الغاز يعد أولوية للولايات المتحدة وروسيا. [2]

لقد كان لمشاريع النفط تأثير وأثر مزدوج في استقرار المنطقه فمشاريع النفط، تحمل في ثناياها امكانية عقد معاهدة صلح إقليمية، فقد كان من مصلحة أذربيجان توقيع اتفاقية لوقف إطلاق النار في كاراباخ لكي تستطيع توقيع الصفقات النفطية، ولروسيا مصالح مماثله في إنهاء مغامرتها العسكرية في الشيشان كي لا يمكن استبعادها كطريق لنقل نفط باكو. إن مشاريع النفط قد أدت في بعض الأحيان إلى المزيد من حالات عدم الاستقرار في الصراع السياسي في أذربيجان إسقاط نظام الرئيس الأذربيجاني ابو الفضل التشيبي، Abulfez Elchibe والمحاولات الانقلابية المتعددة ضد حيدر علييف Heydar Aliyev كما أدت إلى التعجيل في التدخل الروسي في الشيشان، ومن المؤكد أن المستقبل سيهدد الصراع على مصادر الطاقة وطرق أنابيب النفط بظهور صراعات جديدة في القوقاز، وقد يأخذ هذا الصراع شكلين أولهما صراع جغرافي-سياسي "جيوسياسي"عام بين روسيا التي تحمل مفاتيح الأمن الإقليمي وأرمينيا التي ستظهر

[1] تحليل استراتيجية النفط،مرجع سابق.
[2] محمد النعماني، مرجع سابق.

كمستثمر ومقرض رئيسي للأموال في المنطقة، أما الثانية والأكثر أهمية فهو الأثر الذي قد تتمتع به الصادرات النفطية في التوازن الإقليمي، إذا لم يتم التوصل الى حلول للصراعات قبل أن تصل العائدات النفطية بالدولار الأمريكي للمنطقة، وقد تتعرض أذربيجان لإغراء استخدام ميزتها الاقتصادية في بناء جيشها، واستخدام القوة من أجل حل صراع كاراباخ وحسمه لمصلحتها.[1]

كما تجدر الإشارة إلى أن روسيا تعمل على ضمان مصادر النفط والغاز والمواد الخام وبأسعار مناسبة وتعمل على ألا تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على هذه المصادر الأولية، فما زال الكثيرون من الساسة الروس يعتقدون أن روسيا مازالت في حاجة ماسة إلى المصادر الطبيعية والمخزون الاستراتيجي في آسيا الوسطى والقوقاز، وأنها يجب أن تخص نفسها بأكبر نصيب من هذه المصادر والمصالح. إن روسيا مازالت مرتبطة بتصدير النفط والمواد الخام، وأن سعرها في مناطق آسيا الوسطى والقوقاز مازال أقل من سعرها في الأسواق العالمية. ومن جهة أخرى فإن المنتجات والسلع الروسية تواجه مشكلة المنافسة الشديدة في الأسواق العالمية نظرا لقلة جودتها، وموسكو يمكنها تصنيع المواد الخام في هذه المناطق وتحويلها إلى سلع ومنتجات وتجعل هذه المناطق مستهلكة للمنتجات الروسية وتربطها بالاقتصاد الروسي، ويمكن لهذه السياسة أن تكون في شكل تعاون اقتصادي متبادل يستفيد منه كلا الطرفين.[2]

المطلب الثالث: استعادة دور روسيا في المنطقة.

بالرغم من انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991، إلا أن شبح روسيا يخيم على وعي قادة دول القوقاز وآسيا الوسطى وشعوبها. إن روسيا لها تأثير مباشر وغير محدود في سياسات تلك الدول، ولها تأثير أكبر على الأوضاع الاقتصادية والأوضاع الأمنية لتلك الدول، كما أن دول الكومنولث ترتبط بمعاهدة للدفاع المشترك كي تظل تحت الحماية الروسية.

[1] عبد الكريم صالح المحسن،" القوقاز صراع براميل النفط"،صحيفة المثقف،ع.2011:2012. متوفر على الرابط التالي:
http://almothaqaf.com/index.php/qadaya2009/59719.html
[2] لطفي السيد الشيخ، الصراع الأمريكي والروسي على آسيا الوسطى (مصر:دار الأحمدي للنشر، 2006)، ص.ص.150-151.

إن روسيا تجد نفسها مسؤولة عن حفظ السلام والاستقرار وأمن منطقة الكومنولث،ونشطت الدبلوماسية الروسية لإضفاء الشرعية على عمليات حفظ السلام في المنطقة والحصول على مساعدات مالية للقيام بذلك التغيير. وأن روسيا ترتبط بمصالح استراتيجية أمنية واقتصادية مع دول آسيا الوسطى والقوقاز، ونظرا لهذه المصالح فإنها تتعلق بالحفاظ على نفوذها في هده المنطقة الحيوية. وقد شهدت الاستراتيجية الروسية تحولا كبيرا منذ تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز نظرا للمصالح الروسية الاستراتيجية في هذه المنطقة،وقد أكد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في أكثر من مناسبة حرصه على استعادة روسيا لهيمنتها كقوة عظمى ولمكانتها على الصعيدين الإقليمي والدولي،وضرورة تبوء روسيا مكانا مناسبا في صفوف الدول الكبرى في القرن الواحد والعشرين.

وتنظر روسيا إلى دول آسيا الوسطى والقوقاز أنها منطقة ذات أهمية أمنية واقتصادية بالنسبة لها ويجب الحفاظ عليها وعدم تركها للهيمنة الأمريكية.

مع ذلك، أصبحت روسيا في قلق شديد من إمكانية فقدان نفوذها في المنطقة مقابل القوى الإقليمية،وقد أكد بعض الساسة الروس فيما يتعلق بالتعامل مع قضايا المنطقة لمنع نفوذ الآخرين وتسللهم في حالة الغياب الروسي،في هذا الاتجاه عادت روسيا إلى استخدام رؤيتها التقليدية والتي تقوم على استعادة سيطرتها وقوتها على حدودها السابقة.وفي هذه الرؤية تم طرح مسألة إعادة إحياء الامبراطورية باستخدام كافة الإمكانات السياسية والاقتصادية،بل وحتى العسكرية،ويرى السياسيون المؤمنون بهذه الرؤية أن روسيا مازالت لديها مصالحها في المنطقة ويجب أن تتواجد فيها بشكل فعال.[1]

وترصد بعض القوى في موسكو ان واشنطن ومنذ فترة بعيدة تسعى لإضعاف النفوذ الروسي في جمهوريات القوقاز الثلاث: جورجيا وأذربيجان وأرمينيا. والمعروف ان جميعها كانت جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وان روسيا لا تكف عن اعتبارها " منطقة مصالح حيوية لها" لا يحق للناتو والبنى الغربية الاخرى بسط النفوذ عليها.وترى موسكو ان هذه المنطقة

[1] مرجع سابق،ص.ص.136،144

تؤثر بصورة مباشرة على جهودها الرامية لإحلال الاستقرار وفرض النظام في منطقة شمال القوقاز التي تنشط فيها الجماعات المسلحة وتنتشر بأنحائها أعمال العنف[1].

في الوقت نفسه، تستخدم الولايات المتحدة الموقع الاستراتيجي لجنوب القوقاز لتشديد الضغط على ايران ولشد ازر عملياتها العسكرية في افغانستان.وتنظر باهتمام بالغ ايضا الى احتياطات النفط والغاز الكبرى في هذه المنطقة،وتراهن على أنه بوسع هذه القدرات مساعدتها على خفض تبعيتها لمصادر الطاقة العربية.

وبرزت اذربيجان التي تمتلك احتياطات نفط كبيرة كلاعب رئيس في مشاريع الطاقة الكبرى. ففي اطار هذه المشاريع جرى بناء انبوب نفط باكو تبليسي جيهان المار من خلال اراضي أذربيجان،وجورجيا وتركيا. وينظر الغرب لهذا الخط على انه خطوة هامة على سبيل تصفية احتكار روسيا صادرات النفط والغاز الى أوربا.

ووسعت امريكا حضورها بأذربيجان وتستعمل واشنطن احدى مطارات باكو لتزويد الطائرات الامريكية العسكرية بالوقود,وحصلت ايضا على تسهيلات لاستخدام المجال الجوي الأذري لتحليق طائراتها العسكرية الى افغانستان والعودة منها.

ومع تراجع النفوذ الروسي في جنوب القوقاز بعد أن أخذت كل من جورجيا وأذربيجان في الابتعاد عن موسكو،حين بدأت تعاوناً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً مع الغرب،وحدها أرمينيا،وخشية مما تعتبره "عدوها التاريخي "تركيا،تتردد في سلوك هذا الطريق صراحة،فهي أبرمت مع روسيا تحالفاً طويل الأمد لبقاء القواعد العسكرية الروسية في أراضيها،وهذا ما دفع البعض إلى اعتبار نزاع كاراباخ استمرارا لعداء تاريخي محملا بإرث كبير من الكراهية الدفينة من الأرمن لكل من الأذر والأتراك[2].

[1] فالح الحمراني، **روسيا وأمريكا: اشتداد التنفاس لبسط النفوذ على القوقاز**، البوابة الأرمنية في الشرق الأوسط. متوفر على الرابط التالي: http://www.azad-hye.org/article.php?op=details&id=411

[2] باسل الحاج جاسم، **هل موسكو قادرة على تحمل حرب جديدة في القوقاز**، مركز سام للدراسات الاستراتيجية. متوفر على الرابط التالي: http://samstudies.com/%d9%87%d9%84-%d9%85%d9%88%d8%b3%d9%83%d9%88-

كل هذا شكل عند القيادة الروسية توجساً كبيراً لما قامت به واشنطن، مما دفعها لاتخاذ مجموعة من الخطوات في القوقاز بغية إضعاف النفوذ الأمريكي فيه وشملت إجراءات أمنية وعسكرية وسياسية واقتصادية وكان أخرها الحرب الروسية على جورجيا مما قلب المعادلة لصالح روسيا.[1]

ولم تقف موسكو مكتوفة اليدين من هذه التطورات التي تثير مخاوفها،اذ اتخذت الخطوات الهادفة لتعميق العلاقات مع اذربيجان.وسعت عام 2009 الى تمديد فترة تأجير محطة الرادار في جابال الأذرية،وعززت التعاون مع باكو في مجال الطاقة.[2]

وتساور روسيا الهواجس من ان يقود تطبيع العلاقات التركية_ الارمنية إلى فقدان مبررات مرابطة قاعدتها العسكرية في ارمينيا. فقد كانت تؤكد سابقا أن هذه القاعدة تهدف لدعم الاستقرار على الحدود الارمنية_ التركية.ورغم ذلك، فان روسيا وكالسابق ترتبط بعلاقات وثيقة مع ارمينيا سواء على صعيد ثنائي او في اطار منظمة معاهدة الامن الجماعي. أن هذا التكتل العسكري الذي تشكل في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، يضم بصفوفه بالاضافة لروسيا كذلك ارمينيا وبيلاروسيا وكازاخستان قيرغيزيا واوزبكستان وطاجيكستان، ويتحل يوما بعد اخر إلى قوة عسكرية اقليمية لها حضورها الملموس.

وعلى وفق تقديرات المحللين فان العلاقات التركية_ الارمنية ستتحسن اكثر في المستقبل القريب، ولكن تسوية النزاع على اقليم ناجورني كارباخ والجمهوريات التي اعلنت استقلالها عن جورجيا تحتاج لوقت طويل. لذلك فان منطقة جنوب القوقاز ستبقى منطقة تنافس بين واشنطن وموسكو.[3]

وهذا يقود إلى استنتاج أن روسيا لن تتراجع في القوقاز ولن تعيد النظر في اعترافها باستقلال جمهوريتي أبخازيا واسيتيا الجنوبية.[4]

[1] طلال.ع، "خطوات روسية لإضعاف النفوذ الأمريكي في القوقاز ورغبة في الحد من غطرستها"، جريدة الوحدة السورية،ع.6933،2008.
[2] فالح الحمراني،مرجع سابق.
[3] فالح الحمراني،مرجع سابق.
[4] طلال.ع، مرجع سابق.

المبحث الثالث: جورجيا كلاعب استراتيجي في القوقاز.

تعتبر جورجيا إحدى أهم دول القوقاز المستقل فهى تقع في الجنوب ، كما أنها تتكون من مجموعة من الجبال و السهول حيث تم تقسيمها إلى 3 مناطق. تكمن أهمية جورجيا في كونها ذات موقع متميز جعلها تحتوي على الكثير من الثروات ، كما إنها تمتلك إمكانية نقل الأنابيب للعديد من الاتجاهات إضافة إلى الكثير من الميزات الأخرى سوف نتطرق إليها وبهذا تكون جورجيا نقطة الارتكاز الإستراتيجية .

المطلب الأول: التعريف بجورجيا.

تقع جورجيا في جنوب القوقاز، تطل على البحر الأسود من الغرب، وتتكون أراضيها من مرتفعات جبلية وهضاب في الشمال، كما تظهر السهول في جنوبها الشرقي والغربي حول ساحل البحر الأسود، وتبلغ مساحتها 69700 كيلومتر مربع. [1]

يحد جورجيا من الشمال والشمال الشرقي روسيا، ومن الجنوب الشرقي أذربيجان، وأرمنيا وتركيا من الجنوب، من الغرب البحر الأسود لمسافة 309 كيلومترات. تقسم البلاد إلى 11 منطقة تضم نحو 67 مقاطعة بالإضافة الى العاصمة تبليسي. وكانت جورجيا قد أعلنت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي في 1991.

يمكن تقسيم جورجيا إلى ثلاث مناطق فيزيوغرافية وهي : الجبال التي تغطي نحو 54 % من المساحة الإجمالية، والمرتفعات التي تشغل نحو 33%، والوديان التي تحتل حوالي 13% من الأراضي. وتشكل جبال القوقاز الحدود الشمالية لجورجيا،ويقع 70% من أراضي البلاد على ارتفاع يقل عن 1700 متر فوق سطح البحر. وتعتبر زراعة المحاصيل ممكنة في جميع أنحاء البلاد حتى ارتفاع 2000 متر، وما بعد هدا المستوى فتنتشر المراعي حصرا.[2]

[1] محمد بن ناصر العبودي،**بلاد العربية الضائعة:جورجيا**،د.در ن، د.ب.ن ،د.س. ن، ص. 18.

[2] جورجيا،تقرير منظمة الفاو،ص.1. متوفر على الرابط التالي:
http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/geo/GEO-CP_ara.pdf

نظام الحكم في جورجيا جمهوري تخضع الحكومة فيها مباشرة للرئيس الـدي ينتخـب لولاية رئاسية مدتها خمس سنوات يمكن تجديدها، يبلغ عدد أعضاء البرلمان 335 عضو وهـو منتخب يراقب عمل الحكومة ويمكنه وفق آلية محددة إقالة الرئيس.[1]

يعود تاريخ منطقة الدراسة الى حقب زمنيـة أظهـرت حساسـيتها وعـدم ديمومـة استقرارها. حيث كانت جورجيا إحدى دول المنطقة، تكونت بضم أقاليم كانت تحـت سـيطرة ممالك عديدةوبدلك تشكلت من إثنيات متباينة كان لها الاثر الكبير في حالة عدم الاستقرار الدي شهدته ولازالت تشهده المنطقة، ويكن تقسيم هده الحقب كالآتي:

1. مرحلة قبل الاتحاد السوفياتي

كانت جورجيا مملكة مسيحية، يتنازع عليها الفرس والعثمانيون، مما اضطرها إلى طلب الحماية من الامبراطورية الروسية في مواجهة محاولات الهيمنة الخارجية الآتية أساسـا مـن إيران. وعندما توسعت الامبراطورية الروسية في منطقة القوقاز، تمكنت من السـيطرة علـى شمال القوقاز وضمت إليها جورجيا في الفترة (1801–1810). أما أبخاريا فقد تناوب علـى حكمها العديد من الممالك[2] والإمبراطوريات القديمة، ففي الفترة من القرن التاسع إلـى القـرن السادس قبل الميلاد كانت ابخاريا جزءا من مملكة كونجا الجورجية القديمة، بعـدها أصـبحت تابعة لمملكة اغرس في جنوب القوقاز بدءا من عام63 ق.م وهدا التناوب في تبعيـة المنطقـة يعود الى اهميتها التجارية آنذاك. إذ انشأ التجار اليونانيون موانئ على سواحل البحـر الأسـود منها ميناء ديوسوكرايس الذي اصبح فيما بعد ميناء سوخومي عاصمة ابخاريا حاليا.

في القرن الاول الميلادي غزت الامبراطورية الرومانية المنطقة وسيطرت على مملكة اغرس وحكمتها حتى القرن الرابع الميلادي نالت أبخاريا استقلالا شبه ذاتي باعتبارها تابعة الى مملكة غريس التي نالت استقلالا كليا، إلا أنها ظلت غير قادرة على الـتخلص مـن روابطهـا

[1] **جورجيا،معلومات عامة**، متوفر على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/news/international/2007/11/8/%d8%ac%d9%88%d8%b1%d8%ac%d9%8a%d8%a7-%d9%85%d8%b9%d9%84%d9%88%d9%85%d8%a7%d8%aa-%d8%b9%d8%a7%d9%85%d8%a9

[2] جواد صندل،مرجع سابق.

السياسية مع الامبراطورية الرومانية البيزنطية، لكنها استقلت استقلالا تاما في بداية القرن السابع الميلادي. وتمكنت ابخاريا في الفترة الممتدة من القرن السابع وحتى القرن التاسع الميلادي من توحيد منطقتها مع منطقة متجاورة لها تسمى إمرتي تحت اسم المملكة الابخارية. في عام 1001 أصبحت ابخاريا جزءا من المملكة الجورجية. وقد الحقت روسيا ابخاريا لسيطرتها عام 1810، والتي كانت تتبع الدولة العثمانية، إلا أنها ضمتها رسميا عام 1866 كما ضمت اقليم اوسيتيا عام 1801 في خضم سيطرتها على المنطقة بأكملها.

2. مرحلة الاتحاد السوفيتي

أدت الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 إلى قيام دولة جورجيا المستقلة عام 1918. إلا أن الاتحاد السوفيتي غزا جورجيا عام 1921. قامت موسكو سنة 1936 بتكوين كيان سياسي جديد جنوب القوقاز باسم جمهورية عبر القوقاز وكانت تتكون من جورجيا،أرمينيا وأدربيجان ثم حلتها، وأصبحت جورجيا جمهورية لوحدها. وعندما تولى جورباتشوف قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي عام 1985 عين ادوارد شيفارنادزه أمين الحزب الشيوعي الجورجي وزيرا للخارجية. ومع اتجاهات التغيير في الاتحاد السوفيتي تم السماح بإنشاء أحزاب سياسية في عموم الاتحاد ومنها جورجيا.

أما أبخاريا فوضعت كجمهورية في إطار دولة جورجيا، إلا أنها تحولت في عام 1931 إلى جمهورية. بحكم داتي ضمن جورجيا السوفياتية وأصبحت اللغة الجورجية اللغة الرسمية فيها. في عام 1953 تحسنت الأوضاع السياسية في ابخاريا .[1]

3. مرحلة الاستقلال

بتفكك الاتحاد السوفيتي في نهاية ثمانينيات القرن العشرين، حصلت التداعيات السياسية في دول الأقاليم التي كانت تشكله جغرافيا. فقد أعلن عام 1991 عن استقلال جورجيا، وفي عام 1992 عين شيفانادزه رئيسا لمجلس الدولة، بعد إلغاء منصب رئيس الجمهورية. في عام

[1] مرجع سابق.

1995 اصدر مجلس الدولة الجورجي دستورا للبلاد والـذي اسـتعاد فيـه منصـب رئـيس الجمهورية، وفي نفس العام جرت انتخابات أدت إلى تسلم شيفارنادزه لرئاسة الجمهورية. وفـي 2 نوفمبر 2003 جرت انتخابات برلمانية جاءت لصالح حزب شيفارنادزه، وعلى أثـر ذلـك اندلعت مظاهرات شعبية رافضة لهذا الوضع وتمكنت من إجبار شيفارنادزه على التنازل عـن السلطة. بعدها أجريت انتخابات رئاسية أسفرت عن فوزساكاشفيلي، الـذي دعمتـه الولايـات المتحدة، برئاسة جورجيا. وقد أصبح من أولوياته إنهاء وجود القواعـد العسـكرية الروسـية، والقضاء على الحركات الانفصالية الثلاث في اقليم ادجاريا وإقليم ابخاريا وفي اوسيتيا الجنوبية. وقد نجح في القضاء على حركة ادجاريا الانفصالية،إلا أنه لم يستطع القضاء علـى الحركـات الأخرى. وتأكيدا لعلاقته مع الولايات المتحدة الأمريكية زار، الرئيس جورج بوش جورجيا عام 2005، والذي أكد على سعي واشنطن لإنهاء الوجود العسكري الروسي فيها.

أما الابخاريون فقد تحركوا، حال تدهور السلطة في موسكو، بإعلان استقلال إقليمهم عن جورجيا عام 1990.لكن جورجيا لم تعترف به، وتحركت لقمع الانفصال، إلا انها لم تنجح في دلك مما أدى الى نزوح عدد كبير من الجورجيين من ابخاريا. وقد أعلنت ابخاريا في نـوفمبر عام 1994 انها جمهورية مستقلة وأصدرت دستورها. وفي عـام 1998 تجـدد القتـال بـين الطرفين وأدى الى نزوح حوالي 130 الف جورجي من ابخاريا، وتـدخلت روسـيا وأوقفـت الاقتتال . وعلى الرغم من ان جورجيا عرضت عام 2005 على ابخاريا صلاحيات أوسع من الحكم الذاتي ضمن التنظيم الاتحادي لجورجيا، إلا ان الأبخار رفضوا وبقيـت ابخاريـا دولـة بسلطتين، الأولى الحكومة المتمركزة في سوخومي والمدعومة من روسيا وتسيطر على 83% تقريبا من أراضي الإقليم، والثانية سلطة مدعومة من جورجيا تسيطر على حوالي 17% مـن الأراضي وتطلق عليها جورجيا الحكومة الشرعية. ويمكن القول ان ابخاريا تعد مـن الناحيـة القانونية الشكلية جزءا من جورجيا، أما في حقيقة الأمر، فلا تشمل السيادة الجورجية إلا علـى الأراضي الممتدة من نهر بسو حتى نهر انغوري.[1]

[1] مرجع سابق.

أما اقليم أوسيتيا الجنوبية، فقد طالب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بتوحيده مع اقليم اوسيتيا الشمالية في جمهورية واحدة على أن تكون جزءا من روسيا.وهدا يعني انفصال اوسيتيا الجنوبية عن جورجيا . في عام 1991 أعلن مجلس السوفيت الأعلى لاوسيتيا الجنوبية، ان هده الاخيرة مستقلة داخل الاتحاد السوفيتي. لم يشارك الابخاريون في الانتخابات الرئاسية التي جرت في جورجيا عام 1995 مما أحدث تأزما جديدا في الموقف. وفي عام 1996 عقد الطرفان اتفاقا تعهدت فيه جورجيا بعدم فرض عقوبات اقتصادية على اوسيتيا الجنوبية، مع تعهد الطرفين بعدم استخدام القوة في تسوية خلافاتهما حول الاستقلال. لكن النزاع عاد بسبب استمرار مطالبة الاوسيتيين الجنوبيين بالانفصال، الذي تعارضه جورجيا، مما تعمقت الكراهية للجورجيين في اوسيتيا الجنوبية، انتهى النزاع بتدخل الرئيس الروسي يلتسن والجورجي شيفارنادزه في عام 2003 استعادت اوسيتيا الجنوبية وضعها القانوني كإقليم يتمتع بالحكم الذاتي ضمن جورجيا . وفي عام 2004 جرى احتكاك بين الأقلية الجورجية والأغلبية الاوسيتية في اوسيتيا الجنوبية مما أعاد الإقليم إلى حالة الصراع السابقة، إلا أن النزاع تم انهاءه بتدخل الأمم المتحدة وروسيا وأطراف أخرى إقليمية، وتشكيل قوات مشتركة لحفظ السلام من جورجيا وروسيا واوسيتيا الجنوبية.[1]

المطلب الثاني : الأهمية الجيوبولتيكية لجورجيا ضمن القوقاز.

جورجيا دولة تقع في اقليم يتسم بأنه الرابط بين بحر مغلق، يشكل مكمن للثروة (بحر قزوين) وهو في الوقت نفسه منتج لها وهي ثروة استراتيجية للقوى العظمى والكبرى وللعالم بأكمله، وبين بحر يمثل المصب لهذه الثروة فتنتقل منه إلى هذه الدول (البحر الأسود).[2]

وإلى جانب اكتشاف موارد هيدروكربونية جديدة، ازداد اهتمام كبار اللاعبين الدوليين الخارجيين بهذه المنطقة بشكل حاد، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، وقد دعمت الولايات المتحدة بقوة طلب جورجيا بالانضمام إلى حلف الناتو، بينما

---

[1] مرجع سابق.
[2] مرجع سابق.

اعتبرت موسكو هذا السعي أكبر تهديد لأمنها القومي، وبالنسبة للولايات المتحدة فإن حوض البحر الأسود وجنوب القوقاز يلعبان دورا استراتيجيا. لكن الوضع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود تعقد خلال العقدين الأخيرين إلى حد كبير، وذلك للأسباب التالية:

- انهارت "المنظومة الاشتراكية" وظهر في المنطقة "لاعبون" جدد مثل جورجيا وأوكرانيا إحدى أكبر بلدان أوروبا.
- تعقد الوضع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود بسبب الضعف الداخلي "للاعبين" القوميين الجدد والنزاعات الدولية التي تبقى من دون حل، ففي هذه المنطقة تقع أربع دول غير معترف بها في فضاء الاتحاد السوفييتي السابق، وهي جمهورية بريدنيستروفي المولدوفية، أبخازيا، أوسيتيا الجنوبية وناغورنو كاراباخ، وتنجر إلى النزاعات فيها بشكل مباشر أو غير مباشر سبع من دول المنطقة هي: جورجيا، مولدوفا، أرمينيا، أذربيجان، روسيا، أوكرانيا ورومانيا، ويلاحظ بشكل واضح تأثير عدم الاستقرار السياسي الداخلي على الوضع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود.
- تسببت العولمة بانجراف وتغيير حدود منطقة البحر الأسود وبتدخل لاعبين غير إقليميين وغير حكوميين في شؤونها، مثل الشركات متعددة الجنسيات والحركات القومية وتجمعات اللاجئين، ونتيجة لذلك دخلت منطقة البحر الأسود بسرعة في عداد الأولويات في الاقتصاد والسياسة العالميين[1].

ومع اكتشاف حقول غنية بالنفط والغاز في جرف بحر قزوين ويمتد عبر أراضي المنطقة حاليا ممر هام لعبور حوامل الطاقة بين منطقة بحر قزوين وأوروبا وغيرها من مناطق العالم، ما يسمح بالحديث عن تشكيل منطقة قزوين ــ البحر الأسود الموحدة، أصبح الترانزيت بالنسبة لكثير من بلدان المنطقة واحدا من القوى المحركة الرئيسة للتنمية، فهو مصدر هام للعملة الصعبة وعامل إنشاء وسائل اتصال حديثة. بينما أدى التنافس بين بلدان المنطقة على الاستثمارات وبناء خطوط الأنابيب وأرصفة النقل فوق أراضيها إلى احتدام الصراع على

[1] فلاديمير كولوسوف،مرجع سابق.

القيادة، ومن النتائج الهامة الأخرى أيضا خروج كثير من دول المنطقة من العزلـــة التقليديـــة، فسرعان ما ألغي احتكار روسيا لترانزيت حوامل الطاقة من منطقة بحر قزوين وآسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وحصلت هذه البلدان على منافذ جديدة إلى الصين ومنطقة آسيا_ المحيط الهادئ[1].

موقع جورجيا هذا جعل رقعتها الجغرافية مصدر ثروتها، وليس لما في باطنها، بل بما هيأ لها موقعها، من امكانية الثروة، حيث وظفت مكمن ثروتها (الموقع)، ليس بتحريك الثـــروة ماديا، بل من خلال تقديم الخدمات من داخل حيزها الجغرافي لتسهيل استثمار الثروة الموجودة خارج حدود رقعتها الجغرافية، وبهذا السلوك استثمرت جورجيا موردها المعنـــوي (موقعهـــا)، وسيلة لأن تصبح الثروة النفطية مصدر قوة يطلبها الآخرون. وهكذا شـــكل موقعهـــا مصـــدر ثروتها، لأنها دولة لا تملك المقومات المادية للثروة (النفط). ولما للموقع من تأثير في ســـلوك الدول، وبالذات الدول التي يكون موقعها هو موردها الرئيسي الذي يؤثر في الكيفية التي تكـــون عليها مصالحها الحيوية، وفي الدور الذي يمكن ان تمارسه في الوسط الدولي. وجورجيا دولـــة أتاح لها موقعها أن تمارس الدور الذي تطلبه القوى الكبرى، لاسيما أنها تماس مع دولة كانـــت عظمى، وهي جزء منها، وتسعى هذه الدولة لاستعادة مكانتها التي ضيعتها، ومـــع دول تمتلـــك موارد الثروة (القوة) النفطية والغازية، وهي دول حبيسة، تحتاج ان يكون لها منفذا نحو البحـــر المفتوح لتحريك مواردها الكامنة، وتصبح قوة لها وللدول البعيدة. وبهذا أصبح موقع جورجيـــا مصدر ثروتها ومتقدما على خصائصها الأخرى.[2]

و جورجيا تعاني مشكلات عديدة، اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية ونزاعات اثنية، رغم ذلك تحضى باهتمام بالغ في السياسة الامريكية، لأن لها ميزات جيوبولتيكية في أجنـــدات المخطط الأمريكي الغربي. فموقعها المميز كدولة فاصلة بأطول حدود بين روســـيا الاتحاديـــة وتركيا الحليف الاستراتيجي لأمريكا وبين دول آسيا الوسطى، وهي النقطـــة الرئيســـة للعـــزل والتماس مع روسيا والدول المحيطة بها. بالإضافة إلى ذلك فإن المخطط لجورجيـــا أن تكـــون

[1] مرجع سابق.
[2] جواد صندل، مرجع سابق.

الممر الأهم لأنابيب النفط والغاز من بحر قزوين إلى تركيا، بدل من المرور التقليدي للنفط بروسيا باتجاه أوربا الغربية وحرمان روسيا من الاستفادة منه. لذا أصبحت السيطرة على منطقة القوقاز المنطقة الاستراتيجية الأهم في قارة أوراسيا، وتمدد حلف الأطلسي إلى الحدود المتاخمة لروسيا شرطا أساسيا لتحقيق السيطرة الكاملة على دول آسيا الوسطى التي تشكل جزءا رئيسا من حوض بحر قزوين خزان الطاقة الكبير، وبالتالي حرمان روسيا من إمكانية الاستفادة منه. وحتى تتحقق هذه الأهداف، بدأت الشركات الاحتكارية الأمريكية العمل على تعطيل الدور الاستراتيجي للأراضي الروسية كممر لنفط حوض بحر قزوين إلى أوربا الغربية، واستبداله بالدور الذي يقوم به الحيز المكاني لجورجيا.[1]

المطلب الثالث:أهمية جورجيا الجيوبولتيكية بالنسبة لروسيا.

تراقب روسيا تلك التحولات والتحركات التي تحدثنا عنها في المطلب السابق في مجالها الحيوي. فهي تدرك أن جورجيا تحتل موقعا انتقاليا بين دول الانتاج الحبيسة في الشرق والبحر الأسود ومن ثم البحر المتوسط في الغرب. وأن لدى جورجيا إمكانات النقل في عدة اتجاهات.فخط أنابيب من باكو في أذربيجان إلى ميناء سوبا الجورجي شمال ميناء باترمي الشهير على البحر الأسود وبطاقة قد تصل إلى 600 ألف برميل يوميا وتزداد في المستقبل، وبكلفة نقل منخفضة تصل إلى 18 سنتا للبرميل، وخط آخر لنقل النفط الأذربيجاني عبر السكك الحديدية إلى ميناء باتومي الجورجي بطاقة تصل إلى 200 برميل يوميا قابلة للزيادة. والاتفاق الذي تم التصديق عليه بين جورجيا وشركات النفط الأمريكية على مد خط أنابيب النفط (باكو تبليسي جيهان)، الذي سيؤمن نقل النفط من أذربيجان والذي يزاحم خط باكو-ميناء نوفورايسيك الروسي على البحر الأسود.هدا الإجراء أثار حفيظة روسيا وسارعت بإجراءات التصدي له بأسلوب عسكري، لمنع أن تكون جورجيا نقطة الارتكاز الاستراتيجية التي تعتمد عليها الولايات المتحدة في اللعب بمجالها الحيوي مما يؤدي خنقها من الجنوب.

[1] مرجع سابق.

لقد أدركت روسيا انسياق جورجيا باتجاه الولايات المتحدة ودول أوربا. فكانت علاقات جورجيا مع روسيا تتسم بالتوتر والحذر. فهي رغم حرصها على فك الارتباط مع روسيا، إلا أنها تدرك حاجتها إلى روسيا اقتصاديا فهي مزود رئيس لها بالنفط، وأمنيا لأنها يمكن أن تلحق بها ضررا إذا ساندت الانفصاليين. لذا وحتى تتجنب هذا الخطر وتحد من تصاعد الحركة الانفصالية في أبخاريا، اتجهت للانضمام الى دول الكومنولث المستقلة.

كما سمحت لروسيا بموجب اتفاق رعته الأمم المتحدة، بوجود قوات روسية في إقليم أبخاريا، واستمرار بقاء أربع قواعد عسكرية روسية في جورجيا. لكن روسيا بالرغم من موافقتها عام 1999 على سحب قواتها من القواعد الأربع قبل 2001، إلا أنها لم تخل سوى قاعدتين هما جودادتا في إقليم أبخاريا وقاعدة قازياني قرب بنكيسي. وظلت قاعدتي أخا لقبلي في جنوب جورجيا، وقاعدة باطوم في إقليم أدجاريا.

وفي العلاقات الاقتصادية والعسكرية والسياسية شعرت روسيا، أن جورجيا اتبعت سياسة خارجية ذات توجه أوربي–أطلسي،للاندماج مع المؤسسات السياسية والعسكرية الغربية، كالاتحاد الأوربي وحلف الأطلسي ومنظمة التعاون الأوربي، وفك الارتباط مع روسيا بشكل تدريجي. واتضح هذا التوجه من خلال تطور تجارتها الخارجية.ففي سنة 1995 كان حجم تجارتها مع الدول الغربية 17,3% من إجمالي تجارتها، 3% مع الولايات المتحدة وحدها،مقابل 39,4% مع دول الكومنولث الأخرى إلى 16% مع روسيا.ولكن مع حلول 2001 زاد حجم تجارتها مع الدول الغربية إلى 43,5%، و 13,4% مع الولايات المتحدة،وهبط حجم تجارتها مع دول الكومنولث الأخرى إلى 25,6%، 8,8% منه مع روسيا.[1]

أبدت روسيا اهتماما آخر وهو، المتعلق باتجاهات جورجيا في التحرك في المجال الاقليمي المباشر، الذي هو بتماس مباشر مع المجال الحيوي لروسيا وهذا ما لا ترضاه موسكو. فسعت جورجيا إلى إقامة خط السكك الحديدية الأذربيجانية الموصل إلى روسيا، ورحبت

[1] **الأزمة بين روسيا وجورجيا: حرب الأيام الخمسة**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/GeorgRuss/sec01.doc_cvt.htm

أذربيجان بذلك لحاجتها إلى الأراضي الجورجية كمعبر لصادراتها إلى البحر الأسود ومنها إلى أسواق تركيا وأوربا. كما عقدت في عام 1993 عدد من الاتفاقيات لتنظيم العلاقـات بينهمـا، وبذلك أيدت جورجيا أذربيجان في نزاعها مع أرمينيا على إقليم ناغورني قراباغ، وهذا أثر على علاقتها مع روسيا، فهو تبني جورجيا مشروع النقل الدولي المسمى (ممر النقل عبـر أوربـا–القوقاز–آسيا)، المعروف باسم تراسيكيا، وهو مشروع أوربي للمساعدة الفنية لتطـوير وسـائل النقل التقليدية، لكنه لا يشمل خطوط أنابيب النفط. والمشروع يشمل منطقة دول جنوب القوقـاز وآسيا الوسطى، إضافة إلى أوكرانيا ومولدافيا ومنغوليا، كمـا أن عضـويته مفتوحـة للـدول الأخرى. هذا ما اعتبرته روسيا منفذا لتغلغل الغرب والتقرب لمجالها الحيـوي بمسـاهمة مـن جورجيا.

جورجيا تعد بدورها دولة عازلة للدب الروسي، في محيطه المباشر. وإذا كانت جورجيا لا تملك الطاقة، إلا أنها أصبحت ممرا حيويا لهذه الطاقة، التي تصل من بحر قزوين إلى تركيا، ثم إلى أوربا.لذا، يمكن القول أن روسيا أرادت الرد على الغرب المندفع اتجاهها، خاصة بعـد توسع الناتو، وعقب استقلال كوسوفا، وضرب المصالح الروسية عرض الحائط. بعدما شعرت بأن هناك تطورا نفطيا لها عبر تجاوزها كممر تقليدي لنفط دول بحر قزوين.[1]

[1] مرجع سابق.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الإستراتيجية الروسية لمنطقة القوقاز بعد نهاية الحرب الباردة.

أن الإستراتيجية واحدة من الفعاليات الحيوية المصاحبة لتشكل الدول ونموها واستمراريتها فإنها تأخذ في حالة روسيا الاتحادية ومرحلة التحول سمات مهمة نجد أنه لا بد من مناقشتها لكي نضع الأساس النظري، الذي تتم مناقشة الحالة، موضع البحث، في ضوئه.

وتتسم الإستراتيجية الروسية بنوع من الواقعية من خلال سعيها إلى بناء سياسة براغماتية، عن طريق المزيد من التباعد عن الحجج الأيديولوجية التي كان التحرك الدبلوماسي السوفيتي يقوم عليها في الماضي القريب ولاهتمام الاستراتيجي الأهم بالنسبة لروسيا هو السيطرة على دول الاتحاد السوفيتي السابق دون أن تكون راعية لها ومسؤولية عنها وباعتبار منطقة القوقاز منطقة مهمة وبحكم الاهتمام الدولي الذي لا يزال مركزا على المنطقة فقد سارعت روسيا إلى بسط نفوذها على المنطقة والاستفادة من خيراتها.

المبحث الأول: أهداف الإستراتيجية الروسية ووسائلها.

هنالك معتقد بديهي في السياسة مفاده أن أهداف الدول ترتبط عادة بالنوايا والدوافع التي تتستر عليها ولا تفصح عنها، وهو ما يجعل تتبعها وتحديدها امرأ صعبا يخضع للاجتهاد أكثر مما ينبني على الحقائق المؤكدة والثابتة، لان هنالك فارق بين ما تعلنه الدول من أهداف وما تعتنقه منها في الواقع.

وهذا ينطبق على الإستراتيجية الروسية فروسيا الاتحادية تسعى إلى تحقيق أهدافها الإستراتيجية بغض النظر عن تشابهاها أو اختلافها أو تباينها مع أهداف الحقبة السوفيتية.

المطلب الأول:أهداف الإستراتيجية الروسية.

على العموم، بنينا تصوراتنا عن أهداف الإستراتجية الروسية ووسائلها من خلال ما جاءت به وثيقة مفهوم الأمن القومي الروسية، التي انبنت نتيجة للأسباب التالية :

1. الوضع الاقتصادي الذي ازداد سوءا وأدى إلى ضعف تأثير روسيا على الصعيد الاقتصادي الدولي الإقليمي.
2. ضعف القدرة العسكرية الدفاعية لروسيا.
3. تزايد الأخطار على الأمن القومي الروسي.
4. تزايد المنظمات الإرهابية الدولية التي اختارت روسيا مكانا الانطلاق نشاطاتها.
5. القلق على مصير السلاح الاستراتيجي وعملية نزع السلاح .[1]

ومن هنا ننطلق كي نجمل أهم الأهداف الاستراتجة الروسية التي تتمثل كما رأينا، في ما يلي :

[1] عز الدين عبد الله ابو سمهدانة، **الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الاوسط 2000-2008(دراسة حالة القضية الفلسطينية)**، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستر في العلوم السياسية، غزة، جامعة الازهر،2012 ص.95.

1- تقوية القدرات الروسية .

أن الخوف من النزاعات التي تنشا مع جيرانهـا بسـبب الحـدود، وملكيـة الارض، والمطالب المتبادلة لكل منها في الإقليم الروسي، فرض على روسيا ايجـاد الوسـائل اللازمـة لفرض الرد، وذلك من خلال تعزيز القدرات الروسية من خلال التركيـز علـى دور السـلاح النووي لمستقبل الامن القومي الروسي يتمثل في إدامة هامش من الردع يضمن سلامة الاتحاد الروسي (امتلاك عامل الردع)، ذلك إن حجم التهديد المباشر وغير المباشر الموجه إلى الاتحاد الروسي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي قد بلغ حدا لا يمكن التغاضي عنه، وكذا انكشاف إطـراف الدولة الوارثة أمام التحديات الداخلية (العرقية و(لاثنية والانفصالية) والخارجية الصادرة عـن الخصوم السابقين وحتى من الجيران، الذين يودون أثارة موضوعات و قضايا سـابقة تتعلـق بنزاعات الحدود، وملكية الأرض والمطالب المتبادلة لكل في الإقليم الروسي.[1]

إن أيا من الدول تلك لا تتوانى عن فرض السيطرة على قطاعات ليست بالقليلة في حالة عدم وجود تهديد روسي مقابل يحققه عامل الردع، ولا يفيد او يجدي كون الاتحاد الروسي دولة كبرى أو عظمى و نووية وعضوا في مجلس الأمن مالم تكن لديها الوسائل اللازمـة لفـرض الردع على جيرانها و على الطامعين الآخرين. إن حالة كهذه تقتضي إن تشرع روسيا في جملة إجراءات فورا لردم بينها الهوة بينها وبين الأهداف الموجهة ضدها آلية الردع الروسية، فإذا ما علمنا أن لدول الثلاث التي تشكل أهدافا لاستراتجة الردع الروسية تمتلك هي الأخرى وسـائل ردع فائقة جدا لدى أحداها (الولايات المتحدة الأمريكية)، ومتنامية لدى ثانيتها (الصين)، وذات قوة اقتصادية فائقة عند ثالثها (اليابان) لبدا لنا كم على الاتحاد الروسي ان يبذل من جهود ردع تتطلب توظيفات و استثمارات هائلة لكي يؤمن الردع الجديد المطلوب. إن هذه في حقيقة الأمر هي لب معضلة خيار الردع الروسي، وهو ما دعا نائب رئس هيئة الأركـان العامـة للقـوات المسلحة الروسية إلى إن يعلن إن بلاده تعارض أقامة منظومات أجنبية للدفاع المضاد للصواريخ من شانها تهديد الأمن الاستراتيجي الروسي كما أشار إلى أن روسيا تتعاون مع الدول الأخرى

[1] لمى مضر الامارة، مرجع سابق، ص. ص 218، 219

بما فيها الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، لإقامة منظومـــات فعالـــة للـــدفاع المضـــاد للصواريخ، ولكنها تريد الحفاظ على أمنها الوقت ذاته، وأكد نائب رئس الأركان انه يجرى فـــي روسيا صنع أسلحة هجومية إستراتيجية جديدة، بما فيها مجمعات صاروخية ذات مرابطة بحرية تمليها ضرورة التصدي لأي منظومات مستقبلية في مجال الدفاع المضاد للصواريخ، مشيرا إلى أن مفعول أي منظومات أجنبية للدفاع المضاد للصواريخ، وعجزها عـــن التصـــدي للأســـلحة الروسية الهجومية الإستراتيجية.[1]

2- تأمين الظروف المناسبة للتطور الاقتصادي للبلد

لعل العامل الاقتصادي يمثل التحدي الأول الذي تعانيه روسيا والكابح الأساسي لتطلعاتها الإستراتيجية ، ذلك بان الاقتصاد الروسي كان يعاني معضلات كبيرة منذ الحقبة السوفيتية، بل انه ورث معظم، أن لم يكن جل، هذه المعضلات والتحديات والكوابح .

ولقد قامت روسيا الاتحادية على انقاض الاتحاد السوفيتي الذي اورثها بيئـــة اقتصـــادية ضعيفة شابها العديد من التحديات والمعضلات وحالة من التردي والذي انعكس بشكل كبير على مكانة روسيا دوليا وسياستها الخارجية التي والت الغرب لفترة طمعا في الحصول على الـــدعم الغربي المساند للاقتصاد الروسي .

ولقد ساهم تردي حالة الاقتصاد الروسي، وإلى حد كبي، في زعزعة مكانة روسيا على صعيد العلاقات الإستراتيجية الدولية، وسبب تفاقم حالة عدم الاستقرار الداخلي، وحد من أطلاق برامج التنمية وبرامج تعظيم موارد تحقيق الأمن القومي الروسي ووسائله. وقد زاد من تفـــاقم الحالة وقوع النكسة الكبرى التي تعرض لها الاقتصاد الروسي في أغســـطس 1998، عنـــدما انخفض سعر صرف الروبل الروسي أمام العملات العالمية.

ومن هنا كان تحقيق النمو الاقتصادي في مقدمة الأهداف التي سعى الرئيس الروســـي بوتين إلى تحقيقها، إذ بنجاحه في ذلك يكون قد وضع أولى خطواته باتجـــاه تحقيـــق المـــوارد

[1] مرجع سابق، ص224.

لإغراض التنمية والتحديث. وتعد الصناعة العسكرية في مقدمة الصناعات التـي تحتـاج إلـى استثمارات كبيرة لتحقيق هدفي رفد القوات المسلحة الروسية باحتياجاتها، والتصدير كمورد مهم من موارد العملة الأجنبية الضرورية لإغراض الاستثمار إذ تسعى روسيا عبر مبيعات الأسلحة إلى الخروج بصورة رسمية ، وبيع مفاعلات الطاقة النووية إلى دول كايران، إلى جني العملة الصعبة والحفاظ على قدراتها الصناعية والبحثية، وبالنتيجة تأكيد نفوذها وهيبتها.[1]

ويحتل القطاع النفطي (بشقيه النفط والغاز) أهمية كبرى في هذا المجال، فهو من جهة مورد العملة الأجنبية المتحققة نتيجة التصدير وكذلك من خلال الاستثمارات الروسية في الخارج (كحال الاستثمار في العراق سابقا)، ومن هنا يأتي الإصرار الروسي على الحفاظ على حصة معينة للاستثمار النفطية الروسية في العراق، وكذلك سعي الدولة إلى فـرض أجنـدتها علـى الصناعة النفطية الروسية الخاصة

إن معالجة وضع الاقتصاد الروسي كهدف من أهداف الاسترتيجية الروسية تلزم معالجة قضية العلاقات الاقتصادية الروسية الخارجية كقضية المديونية مثلان إذ أنهـا سـتدعم موقـع روسيا الاتحادية في مجموعة الثماني الكبار الوضع الذي سيعود بالنفع و المزايا على الاقتصاد الروسيوفرصه التنموية.[2]

ولكن على الرغم من إن روسيا تحرص على الحفاظ على علاقات طيبـة مـع الـدول الغربية والاهتمام بتنمية هذه العلاقات لكي تتمكن من الحصول حصة كبيرة مـن المسـاعدات الغربية، سواء في صورة معونات أو تدفقات للاستثمارات الغربية، فقد أصبحت تدرك خطـورة الانسياق التام وراء سياسات الدول الغربية، وهذا الأمر أكد اتجاهها نحو إعادة تفعيل العلاقـات التي كانت سائدة بين الاتحاد السوفيتي السابق والعديد من دول عالم الجنوب، وايضا محاولتهـا إقامة علاقات مع الدول التي كانت ترفض علاقات مع الاتحاد السوفيتي بسبب الايديلوجية . لقد أدركت روسيا إن أقامة علاقات طيبة ووثيقة مع الدول كافة ستعود عليها بفوائد.

[1] ـ مرجع سابق.ص. 226.
[2] عز الدين عبد الله ابو سمهدانة ، مرجع سابق ، ص 96 .

3- مكافحة الارهاب

ان الاعتبار الاساسي الذي جعل مكافحة الارهاب احد اهداف السياسة الخارجية الروسية ينبع بالدرجة الاولى من مصالح امنية روسية، فشعور روسيا بتنامي موجة الفوضى على حدودها الجنوبية في القوقاز وآسيا الوسطى، التي من شانها ان تقود إلى أعمال ارهابية، وقد دفع دعمها للحرب على الارهاب إلى امتناع الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوروبية الغربية عن انتقاد انتهاكات لحقوق الانسان في تلك المناطق .

يعد هذا الهدف في المرحلة الحالية من الأهداف المركزية، ذلك انه يتداخل مع الأهداف الأخرى ، باعتبار إن الإرهاب يشكل عامل التهديد الأول ألالاتحاد الروسي لاسيما إن الشيشانين وظفوا الإرهاب إلى ابعد مدى و نقلوه إلى عقر دار روسيا، حيث تم تفجير أكثر من هدف في موسكو وفي مختلف الأقاليم الروسية، ولمكافحة الإرهاب اثر استراتيجي كبير الخطر على التخطيط الاستراتيجي الروسي، إذ إن تبنه دفع روسيا الاتحادية إلى الالتقاء مع الولايات المتحدة الأمريكية في حملتها لمكافحة الإرهاب بعد إحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ثم موقف روسيا المويد للحملة الأمريكية على أفغانستان، هو الموقف الذي فتح الباب على مصراعيه لنفوذ الولايات المتحدة في آسيا الوسطى (اوزبكستان على وجه التحديد) فقد أعربت روسيا بشكل فوري عن دعمها للجهود التي قادتها الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب.[1]

وقد اكتسب هدف مكافحة الإرهاب أهمية جديدة منذ سلسلة من الهجمات تعرضت لها روسيا . ولعل أكثر تلك الهجمات ألما وأدى عملية احتجاز الرهائن في مسرح موسكو في تشرين الأول /أكتوبر 2002 وحادثه الهجوم على المدرسة في بسيلان في سبتمبر 2003 التي راح ضحيتها المئات من الأطفال ، وهي الحالة التي زادت من إصرار روسيا وتمسكها بضرورة وضع الحلول لمكافحة الإرهاب، وأعلن وزير الدفاع الروسي سيرغي ايفا نوف 10 أكتوبر 2004 ان بلاده ستقدم دعما بحريا للسفن الحربية التابعة لحلف شمال الأطلسي التي تقوم

[1] مرجع سابق 226

بدوريات في البحر الأبيض المتوسط لاعتراض الزوارق المشتبه في صلاتها بالإرهاب، ولتي بدا بتسييرها الحلف لمراقبة السفن بعد شهر واحد من هجمات 11 سبتمبر 2001.[1]

4- إقرار السلام العالمي، وتجنب النزاعات العسكرية

يعد هذا الهدف من الأهداف التي يعتبر تحقيقها ضروريا من اجل إفساح المجال لتوطيد أمن وسلام الاتحاد الروسي وجواره الإقليمي، سعيا إلى تحقيق هدف أبعد وأهم هو تحقيق النمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي، إذ لا يختفى على أحد أن انعدام فرص السلام يثبر الحروب ويؤدي الى انتشار النزاعات العسكرية، الأمر الذي سيقلل، من ناحية، من فرص تحقيق التنمية الاقتصادية التي تقود الى خلق فرص العمالة وتحقيق الرفاه الاقتصادي وهو مطلب أساسي لتحقيق النمو الاقتصادي لروسيا، والحصول على أكبر قدر من الصفقات الاقتصادية التي من شأنها أن ترفع مستوى الاقتصاد.

إن من سلبيات انتشار النزاعات العسكرية والحروب ازدياد حدة التوتر في العلاقات البنية سواء بين تلك الدول منغمسة في النزاعات نفسها، أو بينها وبين جوارها الإقليمي أو حلفائها، فقد ظلت النزاعات العسكرية أو شبه العسكرية تمثل ثقلا يلقي بكاهله على الإقليم الذي ينشا فيه هذا النزاع، و الذاكرة الروسية ما زالت تستذكر المأزق الكبير الذي وقعت فيه القوات المسلحة السوفيتية في أفغانستان طوال مرحلة اجتياحها لذلك البلد، ومقاومتها لحرب الأنصار التي شنها العارضون الأفغان ضد الحكومة التي نصبها السوفييت في أفغانستان.

ومن ناحية أخرى، يمكن إن نعزو الهدف الأساسي من السعي الروسي إلى ابرز دورها في حفظ الأمن والاستقرار في العالم إلى الحصول على أكبر قدر من الفوائد الاقتصادية، من خلال تشجيع بعض الدول على عقد اتفاقيات أمنية مع روسيا إلى الدول المتعاقدة معها، وهو ما يعني حصول روسيا على العلامات الصعبة التي هي بأمس الحاجة إليها.[2]

---

[1] مرجع سابق ص. 226.
[2] نفس المرجع ، ص ص 234 .235.

5- حفظ الهيبة والمكانة الدولية

هنالك شعور بين أغلبية الشعب الروسي بان الغرب كان وراء تقـويض قـوة روسـيا وتأثيرها على الصعيد الدولي، وبأنه نجح في تصفية روسيا كدولة عظمـى بمسـاعدة بعـض الروس الموالين للسياسات الغربية، فقد واجه الرئيس الأسبق يلتسن ووزير خارجية آنذاك اندريه كوزيريف انتقادات شديدة من جانب القومين والشيوعيين، واتهامات بإتباع سياسة مذلـة لدولـة كانت القوة العظمى الثانية في العالم حتى وقت قريب، وإن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تساعد روسيا لكي تستعيد عظمتها أو تقوي اقتصادها وتنافسها من جديد، وأن هدف الغـرب هو تقويض القوة العسكرية الروسية وإنهاء المنافسة الروسية علـى صـعيد القضـايا الدوليـة والقضايا الإقليمية، وتوجيه السياسة الروسية لخدمة المصالح الأمريكية. [1]

6- إقامة نظام متعدد الأقطاب

إن الرفض الحازم لعالم يحكمه قطب واحد، والتطلع الشديد الـى إقامـة عـالم متعـدد الأقطاب هما من الأهداف للتقليل من الهيمنة الأمريكية حيث ذكر الرئيس الأسبق يلتسـن (ان السياسة الروسية ترمي الى بناء منظومة من العلاقات الدولية أساسها التصور بان عالمنا متعدد الأقطاب ولا ينبغي ان يهيمن فيه مركز قوة واحد بعينه، وقد أوضحت بلادنـا رأيهـا بالنظـام العالمي الجديد في مناسبات عديدة، كما اوضحناه إمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وملخصـه ببساطة إن عالم القرن الحادي و العشرين يجب إن يقلل من اعتماده على القوة العسكرية، ويزيد من اعتماده كثيرا على قوة الحق، ولذلك نقترح عقد معاهدة الاستقرار والأمن النووي باشـتراك كل الدول النووية)

ولا نجد أي اختلاف بين توجهات يلتسن وتوجهات يلتسن وتوجهات بـوتين فـي هـذا المجال إذ يذكر بوتين (إن تحديات وتهديدات جديدة للمصالح القوية لروسا قد بدأت تظهر على الصعيد العالمي).[2]

[1] مرجع سابق ، ص97 .
[2] لمى مضر الامارة ، مرجع سابق ، ص. 237.

المطلب الثاني : وسائل الاسترتيجية الروسية

1. الحث على اللجوء إلى الأمم المتحدة لحل الأزمات الدولية

تؤكد روسيا دوما على ضرورة اللجوء إلى الأمم المتحدة للتوسط في حل أي أزمة تحدث في العالم، بوصفها الجهة المسؤولية عن ذلك، وضرورة إن يكون حل الأزمات من خلال الجهود الجماعية دونما استئثار لدور دولة أخرى. ومن اجل تحقيق ذلك، تسعى روسيا الاتحادية إلى تفعيل دور الأمم المتحدة، فقد كان يلتسن يؤمن بفكرة الجهود الجماعية لنزع فتيل النزاع في كل مناطق العالم الساخنة، ويستند منطقة هذا إلى العمل على أن لا تؤدي النزاعات المحلية أو الإقليمية إلى حدوث مواجهة أو خلق توتر بين القوى الكبرى، فهو باستمرار يعيد التشديد على ضرورة إعطاء الأمم المتحدة دورا فاعلا في الساحة الدولية ويظهر دعما كبيرا لإجماع واسع في الأمم المتحدة على أعطاء الأمين العام الأمم المتحدة دورا أكثر فعالية في الخلافات، والتعاون مع المنظمات الإقليمية لتهيئة بيئة أفضل للمفاوضات.

كما أكد بوتين أنه ينبغي للنظام الدولي في القرن الحادي والعشرين أن يعتمد على آليات خاصة بالحل الجماعي للمشكلات الرئيسية، وعلى أولوية القانون الدولي

كما أكد بوتين أن ترصين دور الأمم المتحدة في العالم يتطلب مايلي :

- التنفيذ الحازم للمبادئ الأساسية الواردة في ميثاق الأمم المتحدة، ومنها حماية مواقع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن.
- إصلاح عقلاني لمنظمة الأمم المتحدة يهدف إلى تطوير آليات الفعل السريع للإحداث الدولية، ويضمن ذلك تعزيز إمكاناتها لتسوية الأزمات والنزاعات.
- العمل على تفعيل كفاءة مجلس الأمن، الذي يتحمل المسؤولية الرئيسة.
- أن إصلاح الأمم المتحدة ينبغي أن يرتكز على حق النقض غير القابل للخرق من قبل الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن. [1]

[1] ـ لمى مضر الامارة ، مرجع سابق ، ص. 240.

2. التوسط في حل الأزمات الدولية

لقد عملت الإستراتجية الروسية على عدة اتجاهات في هذا المجال، مثل :

- الحيلولة دون نشوب أي صراعات في مناطق العالم الساخنة، وشجب أي عدوان من جانب أي دولة حتى لو كانت حليفة لروسيا على أي دولة أخرى.
- الحيلولة دون تفاقم الصراعات القائمة، وحلها بالطرق السلمية، ودونما اللجوء إلى القوة العسكرية، إذ قال بوتين في هذا الخصوص : (إن روسيا مهتمة بنظام مستقر للعلاقات الدولية يرتكز على مبادئ العدالة والاحترام المتبادل والتعاون المفيد والمشترك، وضرورة التركيز على الوسائل السياسية والدبلوماسية لحل أي خلافات تحدث بين الدول).
- المحافظة على الوضع الإقليمي القائم,و الحيلولة دون إخلال به.
- تأييد المبادرات الخاصة بجعل مناطق العالم مناطق خالية من أسلحة الدمار الشامل، والعمل من أجل تحقيق ذلك. و هذا ما أكده وزير الخارجية الروسي آنذاك بريماكوف، حيث أعلن (أن روسيا الاتحاد تطالب دول العالم بالامتناع عن إنتاج أسلحة الدمار الشامل وبالعمل من أجل إقامة منطقة خالية من هذه الأسلحة) وذكر بوتين (إن مشكلة انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها تتطلب معالجة جدية. إن النزاعات المسلحة المحتملة الإقليمية والمحلية تشكل تهديدا واضحا للسلم والأمن الدوليين).

3. بيع الأسلحة و القيام بالتدريبات

تحتل روسيا المرتبة الرابعة بين الدول المصدرة للأسلحة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، حيث تعتبر مسالة بيع الأسلحة والصناعات العسكرية من أكثر المسائل أهمية في روسيا وذلك لما لهذه المسالة من عوائد كبيرة تساهم في الدخل القومي الروسي.[1]

[1] مرجع سابق ، ص.242.

ولقد شكلت الصناعة العسكرية في الاتحاد السوفيتي السابق مصدرا للعملة الصعبة عبر تصدير السلاح بصورة كبيرة إلى الخارج. وتعد هذه المسالة الآن المسألة الأكثر أهمية بالنسبة إلى روسيا في معرض تبرير إصرارها على التعاون مع بعض دول عالم الجنوب، حيث حاجتها الشديدة إلى العملات الصعبة، وزيادة بعض وارداتها منها، فضلا عن تأمين فرص عمل لعشرات الآلاف من خبراء والمتخصصين الروس، وهو أمر سيتمخض عنه ورود عملية أجنبية يمكن الاعتماد عليها في تحديث القاعدة الصناعية الحربية الروسية، وتغطية جزء من استثمارات وزارة الدفاع في مجال توريد الأسلحة إلى القوات المسلحة.

يعتمد إنتاج الأسلحة الروسية بشكل كبير على الصادرات، التي شكلت المصدر الرئيسي لعائدات صناعة الأسلحة الروسية، وذلك نظرا إلى تدني مستوى الطلبات الحكومية، وبخاصة في التسعينيات.

لقد أدت الفجوة بين مستوى الطلبات المحلية على المعدات العسكرية من جهة، وطاقة الإنتاج وأهدافه من جهة أخرى، إلى الاعتماد بقوة على صادرات الأسلحة، وفي هذا الإطار مثلا تم الإعداد لعقود صفقات جديدة من الأسلحة الروسية لإيران تقدر بـ 8 مليارات دولا، وتتضمن بيع أنواع حديثة من الدبابات والغواصات والماتلات ومنظومات الدفاعات المضادة للأهداف الجوية البعيدة المدى، إضافة إلى تحديث ما بحوزتها من أسلحة سوفيتية الصنع.[1]

وقد أعلن الرئيس بوتين أن صادرات الأسلحة هي مصدر الدخل الرئيسي لصناعة الأسلحة الروسية، كما أشاد بثمار تعاون روسيا مع عدد من الدول في ميدان التقنيات العسكرية والذي بلغت عائداته 3 مليارات و6 مليون دولار خلال عام 2000 وحده، لتحتل روسيا بذلك المرتبة الرابعة بين مصدري الأسلحة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. وفي عام 2002 أعلن مبادرة لمنح 50 مشروعا إضافيا لإنتاج الأسلحة مع الحق في صيانة القطع و بيعها بشكل مستقل في السوق الدولية, وقد تضاعفتن قيمة صادرات الأسلحة المسلمة تقريبا بين عامي 1999

[1] مرجع سابق ، ص242.

و 2002 . وتشكل الصين والهند العميلين الرئيسيين، حيث حازتا معا 60-80 بالمائة من إجمالي صادرات الأسلحة الروسية المسلمة خلال عام 2003 وحده.

ويدخل ضمن السعي الروسي إلى تطوير الأسلحة الروسية وبيعها مجال أخر فيه فوائد كبيرة لروسيا، فتطوير الأسلحة الروسية الذي يتم من أجل عملاء آخرين يصب في المصلحة الروسية، وذلك من خلال الدخل المتأتي من الصادرات والنتائج المترتبة على التطوير الممول من الخارج، أو تحديث المعدات القائمة الذي يوفر لروسيا السيولة المالية والتكنولوجيا اللازمين لتطوير أسلحتها القديمة .ففي عام 2003 مثلا تسلم سلاح جوي الروسي اول طائرة قتال من طراز (س27 أم .ك.سوخوي) باستخدام التكنولوجيا المطورة بتمويل صيني لطائرة (سو-30ام.ك.) للصين، وعلى غرار ذلك يقدم التعاون الروسي الهندي في التطوير والإنتاج و فرصة لدعم صناعة الأسلحة الروسية، ويقدم لروسيا الموارد المالية لتطوير المفاهيم المحلية .

ويمكننا تفسير النمو المطرد في العلاقات العسكرية بين روسيا وهذه البلدان في ضوء مجموعة من الاعتبارات لعل أهمها، رغبة روسيا في استعادة مكانتها في سوق السلاح، وزيادة حصتها في هذه السوق، وهو ما حصل بالفعل وذلك بالنظر إلى ما تمثله عائدات تجارة السلاح من مورد لا غنى عنه بالنسبة إلى روسيا، لا سيما في ظل حاجتها إلى زيادة تحسين وضعها الاقتصادي. ويفسر لنا هذا الأمر الإصرار الروسي على تزويد سورية بالأسلحة والمعدات العسكرية، وذلك على الرغم من شدة المعارضة الأمريكية والاسرائيلية.[1]

4. المساومات السياسية

ان الكثير من التحركات والتوجهات الروسية تعد نوعا من المناورات والمساومات السياسية الرامية الى الضغط على الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية عموما .

ان رغبة روسيا في التحلل من الارتباط الشديد بالمواقف والسياسات التي تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يأتي مدفوعا بالإحباط الشديد الذي أصاب السياسة الروسية

[1] مرجع سابق ص. 243.

تجاه الغرب بفعل الدعم الاقتصادي الهزيل الذي حصلت عليه روسيا من الدول الغربية ,و الذي لم يكن متوافقا مع الحد الأدنى مما كانت تتطلع إليه روسيا، دعاها إلى البحث عن مصادر وسبل جديدة للدخل القومي عبر تنمية علاقات التعاون مع الدول الأخرى,بغض النظر عما ستعكسه هذه التوجهات على علاقاتها الدولية.[1]

إن الكثير من التحركات والتوجهات الروسية تعد نوعا من المناورات والمساومات السياسية الرامية الى الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الغربية عموما,للحصول منها على اكبر قدر من التجارب مع المطالب السياسية والاقتصادية والتجارية الروسية، من خلال السعي إلى فتح مجالات جديدة للعلاقات مع الدول المناهضة والرافضة لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لمجرد الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها الغربيات لانتزاع اكبر قدر من المساعدات الاقتصادية والمالية، فضلا عن السياسية. طبعا، إن التقارب بين روسيا الاتحادية والدول ذات السياسات المضادة لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية يندرج في إطار المسعى الروسي المذكو، أي إن هذا التقارب ليس مقصودا لذاته فقط، ولكنه يمثل أيضا أداة روسية للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية، وهي وسيلة نعتقد إن روسيا نجحت بها إلى حد ما. [2]

- تقييم قدرة الوسائل في تحقيق أهداف الإستراتيجية الروسية

فقد برزت إلى السطح حقيقة كبرى مفادها إن هنالك تنازعا أو تعارضا بين الأهداف الجديدة التي وضعها الإستراتيجيون الروس وبين الوسائل المتعمدة لتطبيق هذه وتحقيقها .

ويأتي هذا التعارض من محدودية قدرة الوسائل على تحقيق الأهداف لأسباب ذاتية وموضوعية يمكننا إدراج أهمها في مايلي :

[1] مرجع سابق ص. 243.
[2] عز الدين عبد الله ، مرجع سابق ، ص. 101.

لقد كانت عناصر تفعيل هذه الوسائل مجتمعة في يد القادة السوفيتية السابقة، في حين ان الواقع الجديد تفي روسيا الاتحادية جعل هذه العناصر مشتتة بين جهات داخلية وخارجيـــة ذات ابعاد محلية واقليمية ودولية.

ورثت روسيا الاتحادية من الاتحاد السوفيتي السابق المعضلة الاقتصادية التي كانت سببا رئيسيا في وتفكك الاتحاد السوفيتي.

في ضوءا متقدم سيتم تقويم الوسائل في تحقيق أهداف الاستراتيجة الروسية :

1. قدرة الردع

لا يخفى أن الردع كان الوسيلة الأهم التي اعتمد عليها الاتحاد السوفيتي الســابق فـــي تحقيق درجة جيدة من الاستقرار في علاقاته مع الغرب .

2. قدرة العامل الاقتصادي

- ✓ وذلك من خلال ايلاء الاهتمام اللازم للإصلاح الاقتصادي، ومحاربـــة الفســاد ورفع مستوى الإنتاجية، حيث سيعود هذا كله على صحة الاقتصـــاد الروســـي وحيويته بنتائج بجابية.
- ✓ المساهمة في استثمار الثروة البشرية كضرورة من ضرورات تنمية البلاد
- ✓ العمل على ضمان ثبات النمو من خلال الاستفادة القصوى من الموارد المتوفرة محليا.

3. قدرة العامل السياسي

شهد التغير الكبير الذي حدث عام1991 بأنتها الحرب الباردة، ومن ثم تفكــك الاتحـــاد السوفيتي، انهيار في الركن الأيدلوجي المحرك للعامل السياسي ولهذا وجدنا ان روسيا كانت بعد ظهورها مفتقرة إلى الركن الإيديولوجي الذي يحرك العامل السياسي.[1]

[1] لمى مضر الامارة ، مرجع سابق ، ص. 245.

4. التقرب من دول الاتحاد السوفيتي السابق

آن من أهم معرقل لهدف التقرب من دول الاتحاد السوفيتي السابق والنفاذ إليها يعود إلى إن روسيا لم تكن قوية سياسيا بما يكفي لفرض إرادتها، ولم تكن جذرية اقتصاديا بمـــا يكفـــي لإغواء الدول الجديدة .[1]

[1] لمى مضر الامارة، مرجع سابق، ص. 245.

المبحث الثاني : المصالح الاستراتيجية لروسيا من وراء التدخل في القوقاز.

ظهر التوجه الروسي إلى إعادة هيمنة موسكو على جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في وقت مبكر جدا ولإضفاء شرعية على هذا التوجه قدم المسئولون الروس مبررات عدة، فـــي مقدمتها الأمن القومي الروسي والصراعات الاثنية في دول الجوار القريب وخطر امتدادها إلى داخل روسيا والدفاع عن المصالح الأقليات الروسية هناك.

المطلب الاول : الابعاد السياسية للتدخل العسكري لروسيا ضد جورجيا.

أن العدوان الذي شنته جورجيا ضد أوسيتيا الجنوبية، تُعْطي يوفـــر لروســـيا كـــل المسوغات للنظـــر في طلبي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية بشأن استقلالهما،روسيا أعطت لنفســـها الحق في التدخل لحماية المواطنين الأوسيتيين، الذين يحملون جوازات سفر روســـية، ضـــد أي اعتـــداء .[1]

وكان الغضب الروسي قد بدأ في التصاعد بشكل ملحوظ بعد الإشارات التي بعث بها حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية إلى جورجيا، في قمته التي عُقدت فـــي إبريـــل 2008 بالعاصمة الرومانية بوخارست، إذ وعدها بالانضمام في المستقبل القريب للحلف، وهو ما يعني إستراتيجياً اقتراباً كبيراً لقواته في المجال الحيوي للأمن القومي الروسي. وقد ردت موسكو على ذلك بمزيد من التطبيع للعلاقات مع أوسيتيا الجنوبية، فأكثرت من منح جوازات السفر الروسية لسكان الإقليم، وقدمت مزيداً من الدعم العسكري والسياسي للمطالبين بالانفصال عن جورجيـــا وانضمامها إلى روسيا.[2]

كما كان التحرك لجورجي لاجتياح إقليم اوسيتيا الجنوبية يوم افتتاح اولمبيـــاد بكـــين 8 أوت 2008 مفاجئا للكثير من المحللين والمراقبين الدوليين، كان رد الفعل الروسي على الغـــزو لجورجي لاوسيتيا الجنوبية، فلم يكن احد يتوقع آن يكون الرد بهذا الحسم والقـــوة والســـرعة،

---

[1] قيس العبيدي،" الصراع الروسي الجورجي في اوسيتيا الجنوبية نظرة جيوبولتيكية"،الحوار المتمدن،ع.2460، 9–11–2008. متوفر على الرابط التالي : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=152833

[2] توفيق المديني، **دواعي الحرب الروسية ـ الجورجية في اوسيتيا الجنوبية**. متوفر على الرابط التالي: http://www.turess.com/alwasat/11615

متصورين أن أقصى ما يتوقع من موسكو آن تشجب وتندد وتطالب المجتمع الــدولي بالتــدخل السريع لإيقاف الاعتداء، ولكن على ما يبدو آن الحسم بالقوة كان هو الخيار لأفضل من جهــة النظر الروسية في مثل هكذا حالات.

- الأهداف الكامنة وراء رد الفعل الروسي بالتدخل العسكري

1. حماية العرقية الروسية

لعل احد أهم ما تمخض عن العيش المشترك للقوميات المختلفة التي انضوت تحت ستار الاتحاد السوفيتي السابق انتشار العرقية الروسية في كافة الجمهوريات السوفيتية السابقة. وقــد عملت هذه العرقيات بمختلف مستويات أدارة الحياة، من مستوى العامل العامــل البســيط إلــى المستويات القيادية العليا في الإدارة والصناعية والتعليم وقد كانت هذه العرقيات وما زالت تؤلف نسبة لا باس بها من سكان هذه الجمهوريات وما تبعها من أقاليم ومقاطعات وجمهوريات متمتعة بالحكم الذاتي .[1]

نظرت روسيا إلى امتداداتها العرقية في الجمهوريات السوفيتية السابقة نظرة استراتيجة، إذ اعتبرتها جزءا من أمنها القومي ، وأن رعايتها و الحفاظ على مصالحها تعــد واحــدة مــن متطلبات أمنها القومي وحركة السياسة الخارجية الروسية .

وجورجيا هي واحدة من هذه الجمهوريات التي يشكل الروس نسبة من سكانها

وتتمركز نسبة كبرى منهم في اوسيتيا الجنوبية، الأمر الذي خلق مشكلة مستدامة بدأت منذ أيام الاتحاد السوفيتي السابق، كما سنرى لاحقا، أساسها رفض الغالبية الروسية في اوســيتيا الجنوبية الانضمام إلى جورجيا .

ان تدخل جورجيا العسكري في اقليم اوسيتيا الجنوبية ادى الى نشوب حرب بينهــا وبين روسيا من شانه توسيع الفجوة بين روسيا والدول الغربية كما ان القيادة الجورجية تعطــي

[1] لمى مضر الامارة ، مرجع سابق ، ص.288.

لنفسها المشروعية ازاء العملية العسكرية التي تقودها بلاده ضد الحكومة المحلية في اقليم اوسيتيا الجنوبية باعتبار ان الاقليم لايحضى باعتراف دولي لانه ينتمي شكليا الى جورجيا رغم انها فقدت السيطرة عليه منذ خمسة عشر عاما كما ان جل سكان الاقليم يحملون الجنسية الروسية .

وقد أشار الرئيس الروسي إلى هذا الأمر بقوله (المشكلة تكمن في آن الأوسيتين الجنوبيين والابخاز لا يثقون إلا بقوات السلام الروسية .... نقوم بمهمتنا فيحفظ السلام وسنواصلها ولكن إذا واصل احد الاعتداء على مواطنينا و جنودنا المكلفين بحفظ السلام ، سنرد كما فعلنا) .

مؤكدا تأييد موسكو لاوسيتيا الجنوبية وابخازيا اللتين استبعد عودتهما عن رغبتهما في الانفصال عن جورجيا، وهو الأمر الذي أشعل الصراع في القوقاز كما لفت وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف معلقا على ما يحدث في اوسيتيا الجنوبية، الأنظار إلى معلومات تفيد بوقوع حالات التطهير العرقي في اوسيتيا الجنوبية . وقال ان الذعر في أوساط السكان يزداد ، كما يزداد عدد اللاجئين الذين يحاولون النجاة بأنفسهم .

وهو ماعدا وأكده الافروف قائلا : (أن الكثير من مواطني اوسيتيا الجنوبية لديهم جنسية روسية . وبموجب قانون روسيا الاتحادية، فان مواطنينا أينما كانوا سيتم الدفاع عنهم) .[1]

2. الموالاة الجورجية للولايات المتحدة الأمريكية

ترى روسيا أن دول الاتحاد السوفيتي السابق الموالية لتواجهات الأمريكية يمكن ان تساهم في زيادة الحصار عليها ... و يعد هذا الأمر احد الأسباب وراء توتر العلاقات الروسية – الجورجية إلى الدرجة التي دفعت روسيا الى طلب تنحي الرئيس ساكا شفيلي، واختيار بديل محايد، كونها رئة فية الموالي الأقرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بعد موافقته على انتشار قوات أمريكية على حدود بلاده مع روسيا بصفة مدربين للجيش المحلي، ومن ثم تشجيعه

[1] مرجع سابق.

على إنشاء نادي دولي باسم (غوام) الذي تشك روسيا في انه أقيم لمنع انتشـــار نفوذهـــا فـــي القوقاز والبلقان ،و ربط مصير هذه الدول بالحلف الأطلسي ، فضلا عن الرغبة الشـــديدة لـــدى جورجيا في الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي وهو مايعني توسعية شرقا.[1] وهو ما عرضـــه إلى انتقادات شديدة على لسان رئيس الوزراء بوتين واصفا مساعيه هذه بالمتهورة ، معتبرا ان طموحه للانضمام الى عضوية الحلف سيجره الى مغامرات دامية : (ان أي توسيع لحلف شمال الأطلسي باتجاه التخوم الروسية سيكون غير مقبول من الجانب الروسي، لأنه يعتبـــر تهديـــدا للأمن القومي الروي .

3. مسالة استقلال كوسوفو و نشر الدرع الصاروخية

تعد مسالة إعلان استقلال كوسوفو، و نشر نظام الدرع الصـــاروخية الأمريكـــي فـــي أوروبا الشرقية، من الأمور المرجحة والخطيرة الت شكلت سببا أساسيا بين الأسباب التي دفعت موسكو الى الدخول في نزاع عسكري في القوقاز .

وهي أمور نستطيع أن نستشفها من خلال قراءة تصريح ديمتري مدفيد يف من أن بلاده ستدافع بقوة عن مصالحها في الخارج، موكدا في كلمة ألقاها أمام دبلوماسيين بارزين روس انه سيتمسك بمبدأ سلفه فلادمير بوتين، الباحث عن دور لروسيا على الصعيد العالمي يليق بقوتهـــا الصاعدة ، موضحا انه لن يخفف السياسات الصارمة التي أثارت قصب الغرب في ظـــل حكـــم بوتين : (أن روسيا باتت أقوى، وهي قادرة على تحمل مسؤولية اكبر لحل المشـــكلات علـــى الصعيدين الإقليمي و العالمي. ومايزال العالم الذي تخلص من الحرب الباردة غير قادر علـــى تحقيق توازن جديد ... علاوة على ذلك اشتد الميل الى استخدام القوة في العلاقات الدولية : أن الترتيبات الأمنية التي تم إرساؤها في أوروبا في نهاية الحرب الباردة قد تنهـــار إذا واصـــلت الولايات المتحدة تدمير أساساتها تدريجيا ،ولاسيما من خلال نشر أجزاء من درع صـــاروخية شرق أوروبا ... هذا الإرث المشترك لايمكنه النجاة إذا اختار احد الإطراف تـــدمير عناصـــر

[1] مرجع سابق ، ص. 291.

منفصلة في البناء الاستراتيجي، هذا لايرضينا ... أن نشر عناصر لنظام الـــدفاع الصـــاروخي الأمريكي شرق أوروبا يجعل الوضع اسوا .. سنكون بحاجة إلى الرد على ذلك بشكل ملائم.[1]

كما شدد مدفيديف على ضرورة عدم السماح لــ (المصالح الضيقة) يتجاوز القـــانون الدولي ، ضاربا مثلا على ذلك بإعلان كوسوفو الاستقلال عن صربيا، وهو ماقالت موسكو انه خلق سان بقة خطيرة. وعلى رغم هذه الانتقادات اكد الرئيس الروسي انه لايبحث عن معـــارك مع الغرب ، وانه من الضروري الدفاع عن مصالح بلاده دون الانزلاق إلى مواجهة ..، مؤكدا في الوقت نفسه (ان روسيا لاتريد أن تصاب علاقتها مع أي دولة بالضرر، ولكن عليها انجاز مهمتها في حفظ السلام في المنطقة، وسترد في المستقبل بالطريقة نفسها على أي هجوم)

4. إيقاف التأثير الإسرائيلي

لعل ما يجذب الانتباه إلى إن الأزمة في جورجيا وتصرف الحكومة الجورجيـــة كانـــت تقف وراء هما قوى أخرى، وذلك بالرجوع الى تحليل التصرف، وحتى الخطاب السياسي، فقـــد حاولت جورجيا اللجوء إلى استباق الآخرين با استيلائها ونقلها المعركـــة إلـــى ارض الخصـــم متناسية تناسبان القدرة، و متعللة بأوهام عن فعل ردعي أطلسي لم يتحقق.

وقد ألقى وزير خارجية روسيا لافروف، بجزء كبير من المسؤولية على إسرائيل فـــي اندلاع الأزمة بين روسيا و جورجيا، واصفا إياها بالمصدر الأساسي للصـــواريخ و طـــائرات الاستكشاف و القنابل المحظورة الاستعمال، إضافة إلى تدريب الوحدات الخاصة. وهو أمر أكدته بعض الصحف الاسرائيلية نفسها، إذ كتبت صحيفة يديعوت احرونوت ان وزير الدفاع لجورجي ديفد كيزر شفيلي وظف علاقاته مع إسرائيل التي أساسها إثناء دراسته فيهـــا لتســـليح بـــلاده بمساعدة و أموال أمريكية . و قالت الصحيفة نفسها : (إن إسرائيل لعبت دورا مهما، وبشـــكل غير مباشر في اشعال حرب القوقاز، وذلك بتشجيع الرئيس لجورجي ميخائيل ساكاشفيلي على

[1] مرجع سابق ، ص. 291.

القيام بخطواته العسكرية الأخيرة مع روسيا من خـــلال تزويـــد جورجيـــا بالســـلاح و العتـــاد العسكري).[1]

المطلب الثاني : الهيمنة على سوق الطاقة في القوقاز.

إن الصراعات والأزمات والحروب تتعدد أسبابها منذ القدم، كما تتنوع دوافعها. وكثيرا ما يكون العامل الجغرافي (أي الصراع على اكتساب الأراضي) الهدف الرئيسي للنزاع، ولكـــن يبقى العامل الاقتصادي، أي الحصول على الموارد الحيوية السبب الرئيسي والهدف الأسمى من وراء نشوب أي خلاف أو حرب عندما تعجز السياسة أو الدبلوماسية عن تحقيقه، ومـــن هـــذه الأهداف الاقتصادية تسعى بعض الدول إلى فتح أسواق تجارية جديدة أو محاولتها السيطرة على المناطق الغنية بالموارد الأولية التي يتقدمها النفط .

وفيما يخص الحرب الدائرة في منطقة القوقاز بين روسيا التي تدعم أوســـيتيا الجنوبيـــة وأبخازيا من جهة، وجورجيا المدعمة من طرف الدول الغربية والحلف الأطلسي، فقـــد يـــدفعنا الحديث إلى النظرإلى هذا النزاع من جانبه النفطي، الموضوع الذي يهمنا في هذه الدراسة على الخصوص. هذا مما يؤدي بنا بادئ ذي بدء إلى الرجوع إلى الوراء عبر التاريخ، وذلك في عهد الاتحاد السوفياتي السابق حيث سبق لهذه الإمبراطورية أثناء ثورة أكتوبر 1919 التاريخية وأنها قد طردت الشركات النفطية العظمى التي كانت تتواجد آنذاك في منطقة بحر قزوين وأممتهـــا، مما يجعلنا نوحي إلى الأخذ بالثأر من قبل هذه الشركات العظمى وتلبية مطامعها القديمـــة فـــي المنطقة التي يقال أنها بمثابة " شرق أوسط جديد" بثالث احتياطي في العالم مع ثرواتها البترولية والغازية.على عكس الدول الغربية ودول الخليج التي كانت ولا زالـــت مفتوحـــة للشـــــركات النفطيـــة العظمى، إنه من الصعب الحصول بكل سهولة على معلومات وإحصائيات مدققـــة فيما يخص إنتاج واحتياطي النفط في الجمهوريات السابقة للإتحاد الســـوفياتي والـــدول الإشـــتراكية المجاورة لها. وتعتبر صناعة النفط الروسية التي بدأت سنة 1860 واحدة من أقدم الصـــناعات

[1] مرجع سابق ، ص. 290.

النفطية في العالم،وإن كانت الولايات المتحدة أقدم منها والأكثر تقدما من الناحيـــة التاريخيـــة، والمالية والتكنولوجية.

وقد بدأ استخراج النفط في بداية الأمر في منطقة باكو المشهورة والواقعة على ســاحل بحر قزوين. لكن روسيا القيصرية لم تكن مالكة لهذه الثروات آنذاك بحيــث كــان الإســتثمار الرئيسي للنفط يعود إلى الرأسمال الأجنبي، لاسيما البريطاني، والفرنسي، والسويدي.

وقد حاولت الحكومة الروسية عن طريق سياسة الإصلاح والإنفتاح الإقتصــادي علــى الغرب الاستعانة بالتكنولوجيا الأمريكية المتقدمة في هذا المجال، لكن تداعيات الأحــداث التــي تأثرت بها الشركات السوفياتية السابقة وما رافق ذلك مــن اضــطرابات اقتصــادية وسياســية واجتماعية حالت دون تحقيق هذه التطلعات. وكان معظم الخبراء والمحللين الاقتصاديين اتفقــوا على استمرار بعض النقص في احتياطي الإتحاد السوفيتي الأسبق إلى أمد غير محدود في ظــل غموض رؤيا سياسية واضحة وتردي الوضع الإقصتادي مع فقر المعلومات المؤكدة فــي هــذا الميدان.[1]

وكما كان يعتبــر الإتحاد السوفيتي من أكبر الدول المنتجة للنفط، فهو أيضا مــن بــين الدول الصناعيــة الكبرى المستهلكة لهذه المادة الحيوية. وقدرت نسبة استهلاكه عام 1989 قبل انهياره بحوالي 14% من مجموع الإستهلاك العالمي للنفط، وهو بذلك يــأتي بعــد الولايــات المتحدة وأقطار أوروبا الغربية وقد حرص الإتحاد السوفيتي منذ نشأته على مبدأ الاكتفاء الذاتي في سياسته النفطية، وما يفيض عن حاجته كان يصدر إلى دول أوروبا الشــرقية وبعــض دول أوروبا الغربية بغية الحصول على العملات الصعبة. فالمعروف أن الإتحاد السوفيتي ومنذ بداية الثمانينــات زاد اعتماده تدريجيا على الغاز الطبيعي وتم إحلاله محل النفط في قطاعي الصناعة والكهرباء.هذا ويتوقع المراقبون أن يعود إنتاج استهلاك النفط إلى الارتفاع في السنوات المقبلة بعد تحسين الأوضاع الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية، لاسيما مع السياسة المنتهجة من قبــل

[1] محمد ختاوي ،"حرب القوقاز و الصراع النفطي في المنطقة"، الحوار المتمدن ، ع. 2431 ،11-10-2008. متوفر على الرابط التالي: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=149826

فلاديمير بوتين وخليفته مدفيداف الذي يسيرشؤون البلاد بمعيته على نفس السياسة المنفتحة شيئا ما ولكن الحذرة من الغرب كل الحذر بغية الحفاظ على المصالح الروسية والغيرة عليها، منذ ما يزيد عن خمسة عشر سنة كانت المنطقة التي تقع على جانبي بحر قزوين من ناحيته الشرقية – آسيا الوسطى – والقوقاز من الناحية الغربية، غير معروفة بشكل كبير. فقد كانت هذه المناطق مقاطعات تابعة للإمبراطورية السوفيتية، ولم تكن تهم العالم الخارجي لا من الناحية السياسية ولا من الناحية الاقتصادية، فجأة تغيرت الأمور وحصلت ثماني دول على استقلالها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومنذ ذلك الحين، فإن بعض هذه الدول الجديدة جذبت اهتماما متزايدا من الحكومات والقطاع الخاص ودوائر السياسة العالمية ووسائل الإعلام على حد سواء. هذا الاهتمام النسبي حظيت به عدة دول معدودة من دول بحر قزوين هي بالدرجة الأولى أذربيجان، وكازاخستان وتركمانسان، ويرجع هذا الاهتمام وذلك الظهور إلى النفط والغاز الذي تم اكتشافه في كل منها، وقد ظهر الاهتمام المتزايد بهذه المنطقة من 1991 حتى 1997. وفي نفس الوقت أصبح هناك عنصر استراتيجي مهم للمنطقة.[1]

فبحر قزوين يقع في نقطة التلاقي بين كل من روسيا، وتركيا وإيران والصين وبنفس الوقت يربط جورجيا مع البحر الأسود الذي يطل على أوروبا الشرقية بمنفذ مينائي سبسا وبوتي، ومع انهيار الاتحاد السوفياتي وجدت هذه الدول المستقلة نفسها لا تسيطر عليها أي من هذه القوى الخارجية ولكنها مرتبطة معها بطرق مختلفة، جغرافيا واقتصاديا، وثقافيا، ومن ناحية المواصلات التجارية أيضا ولما نتكلم عن القوقاز، يذهب بنا الحديث مباشرة إلى منطقة قزوين الغنية بثرواتها النفطية والغازية والمتمثلة خصيصا بالدرجة الأولى بأذربيجان والمعروفة بعاصمتها النفطية "باكو" والمجاورة لجورجيا التي يرطبها خط أنابيب تمر عليها. مما يجعلها منطقة استراتيجية قد تجلب أطماع أكثر من واحدة من الشركات النفطية العملاقة وأكثر من دولة غربيـة.

إن الحديث عن مستقبل منطقة القوقاز بالنسبة لأسواق النفط العالمية لابد أن يبدأ بالحقائق الجيولوجية تحت الأرض، فاحتياجات منطقة قزوين والتي عرفناها بأذربيجان، وكازاحستان

[1] مرجع سابق.

وتركمانستان[1] ــ تملك الاحتياطات التي تعتبر مؤكدة يتراوح ما بين 25 – 30 مليار برميـــل، فهذه الاحتياطات التي تعتبر مؤكدة يجعل بحر قزوين معادلا لبحر الشمال، على أن هناك إثنان من حقول النفط هما " تنجيز " في كازاخستان، و" أذري جونشلي " فـــي أذربيجـــان يعتبـــران بالمقاييس العالمية عملاقين وسط حقول النفط كل منهما يحتوي على نحو 5 ملايير برميل. أما الرقم الذي غالبا ما تردد ذكره بان مجمل احتياطات بحر قزوين النفطية تبلغ 200 مليار برميل.

نظرا لكون الدول المنتجة للنفط الموجودة بمحيط قزوين كانت " حبيسة " المنطقة، أي لـــيس لها منافذ مباشرة على طرق المواصلات التجارية العالمية، فإن موضوع خطوط الأنابيب كـــان أمرا أساسيا، لأن الخطوط القائمة ليست كافية لنقل الكميات الجديدة من بحر قزوين إلى أســـواق النفط العالمية، أي مرورا لا محالة بمنطقة القوقاز التي تعد المنفذ الرئيســـي والأقـــرب للعـــالم الخارجي عبر جورجيا وروسيا التي لهما حدود مجاورة بالمشال الشرقي، بالنســـبة للشـــركات النفطية التي تعمل في بحر قزوين والتي تسعى للعمل هناك منذ القدم، فإن تمويل وبناء خطـــوط أنابيب مكلفة تمر عبر دول أخرى تمثل أكبر التحديات أمام المنطقة كونها لها بعـــد سياســـي و استراتيجي مهم قبل البعد الاقتصادي والتجاري.[2]

- خطوط النفط و الغاز

إن الجانب الأكثر أهمية هو العامل الاقتصادي، وهو يتمثل بخطوط نقل أنابيب الـــنفط إلى أوروبا، إذ يقع إقليما ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية في منطقة ينظر أليها الغرب علـــى أنهـــا طريق حيوي لتصدير النفط من بحر قزوين إلى أسواق العالم، حيث تتنافس واشنطن و موسكو على النفوذ.

وبما ان المنافسة مع الغرب من جهة النظرة الروسية لم تعد خاضعة للقوة العسكري قدر خضوعها للقوة الاقتصادية ــ الصناعية، فإن التحكم بأنابيب نقل النفط والغاز يعطـــي لروســـيا ميزة مضافة.

---

[2] لمى مضر الامارة ، مرجع سابق ، ص.282.

ومن أجل فهم وضع جورجيا في مسألة خطوط نقل النفط و الغاز علينا هنـــا آن نميـــز الموقع لجورجي في الخريطة السياسية... إذ تقع جمهورية جورجيا، التـــي هـــي إحـــدى دول القفقاس على السفوح الجنوبية لجبال القوقاز. تحدها من الشمال جمهورية داغستان ذات الحكـــم الذاتي وجمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتي أيضا، وانغوشيا، واوسيتيا الشـــمالية، جمهوريـــة قبردينو ــ بلقاريا، وأقاليم قرة تشاي، شركسيا، وكراسنودار كراي، و تحـــدها مـــن الجنـــوب الشرقي جمهورية ارمينيا، في حين تحدها من الجنوب جمهورية اذرابيجان، و تحدها تركيا من الجنوب الغربي، وتمتلك ساحلا على البحر الأسود الذي يحدها من الغرب.

ومن هنا، فإن تحكم جورجيا في خط النفط و الغاز الذي يمر من اذرابيجان الى تركيـــا ويمنح أوروبا قدرا من الاستقلالية، عن ما وصفته بالابتزاز الروسي لها في مجال الطاقة وهـــو الذي اذكي الأزمة مع روسيا، وليس فقط الصراع على اوسيتيا الجنوبية. [1]

المطلب الثالث: احتواء القوقاز ضد الامتداد الغربي.

لقد كانت روسيا تبدي معارضة جدية لانضمام دول أوروبـــا الشـــرقية والـــدول التـــي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي إلى حلف شمال الأطلسي، لان هذا يعني بالنسبة إليها أن تظل هي وحدها أمام باقي دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما أن في بال بعـــض النخـــب الروسية أن مد حدود هذا الحلف ليتاخم حدود روسيا قد ينطوي على تهديـــد خطيـــر لأمنهـــا و سلامتها. وهنا يجب الانتباه إلى نقطة مهمة تتعلق بسياسة الاحتواء التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتبعها لجذب الدول التي كانت محيطة بالاتحاد السوفيتي إلى تحالفات، خاصـــة مـــع الولايات المتحدة الأمريكية لحصر الاتحاد السوفيتي وتطويقه داخل حدوده الإقليمية، وهي أننا نجد انه مايزال هناك في روسيا من يعتقد أن هذه السياسة مازالت تتبع حاليا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية و الغرب تجاه روسيا الاتحادية ، مع فارق الدول، حيث كانـــت دول الشـــرق والأوسط بموقعها الجغرافي القريب من الاتحاد السوفيتي تمثل على المستوى الاستراتجي خـــط

[1] مرجع سابق ، ص.282.

الدفاع الأول للاتحاد السوفيتي، أما الآن فان الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي هي تمثل هذا الخط. [1]

أن الإدراك الروسي في هذا المجال كان، ومايزل، يميل، لدى العسكريين الروس بالذات إلى أن توسيع حلف شمال الأطلسي سوف يودي إلى احتمال اقتراب القوى العسكرية الغربية من الحدود و الأراضي الروسية، ومن ثم إمكانية تطويق روسيا وعزلها، وهذا يعني قصر مدة الإنذار للقوات المسلحة الروسية. ولا يخفى ما لهذا الحالة، لو ظهرت، من اثر سلبي في الاستعداد القتالي للقوات المسلحة الروسية، التي أضحت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي تعاني في الأساس نقصا جوهريا في قدراتها و إمكاناتها التي تأثرت بشكل سلبي من حالة عدم الاستقرار التي تفكك الاتحاد السوفيتي من جهة، ومن تردي الوضع الاقتصادي الذي تمخض عنه تراجع في الإنفاق على الميزانية العسكرية (الدفاعية)، ثم من اخراق أمريكي على صعيد القدرة العسكرية الإستراتيجية الروسية بتوقيع الطرفين اتفاقية تخفيض التهديد الاستراتيجي، كل هذا جعل مسعى القوات المسلحة الروسية إلى التعامل مع الظروف المستجدة أكثر صعوبة، الأمر الذي استدعى تجاوزه إعادة الإنفاق على القوات المسلحة الروسية بغية تحديثها، وبالتالي تصاعد الإنفاق العسكري بفعل ارتفاع حالة استعداد القوات الروسية نتيجة ذلك ، و هو أمر اضطرت روسيا إلى سلوكه ولو في قطاع محدد من القوات المسلحة و هو قطاع الدفاع الجوي، عندما وجدت لزاما عليها تطوير وسائل الدفاع الجوي الروسي بعد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية برنامج الدفاع ضد الصواريخ، إذ لجا الروس الى تطوير منظومات صاروخية جديدة، و منها منظومة صواريخ (توبول) لسد الثغرة المتحققة في وسائل الدفاع الجوي الروسية، كما حاولت تسويق هذه المنظومة للإيفاء ببعض تكاليف تطويرها.

فالروس يدركون أن من مصلحة الغرب عزل روسيا و منعها من ممارسة نفوذها الإقليمي بشكل يتعارض أو يتقاطع مع مصلحه، وهو ما ينصح به بالفعل ساسة الولايات المتحدة الأمريكية ويؤكدون ضرورة انتهاج سياسة جديدة مع روسيا الاتحادية، خصوصا أنهم يدركون

[1] مرجع سابق ، ص ص 300، 301.

أن روسيا كقيمة وكيان سياسي وبنية جيواستراتيجية لم تخسر في مواجهة الولايــات المتحــدة، ويحذر هولا الساسة من أن روسيا قد تظهر كعدو استراتيجي مرة أخرى، ولاسيما أن روســيا تنظر بعين الريبة إلى استمرار وجود حلف شمال الأطلسي، وتؤكد دائما ان الهدف الذي تأسس الحلف من اجله قد تلاشى من مسرح العالم السياسي والجغرافي.[1]

أما الأهداف الأمريكية في منطقة القوقاز : فيمكن تلخيصها في مايلي :

1. العمل على تحجيم الدور الروسي في المنطقة و ربطها بمنظومات إقليمية.
2. تعميم السياسة الأمريكية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي (سابقا).
3. منع توغل الإسلام السياسي الراديكالي المناهض للغرب في منطقة القوقاز.
4. المحافظة على استمرار استقلال دول القوقاز.
5. دعم قدرات القوات الأمريكية على التدخل السريع في المنطقة خلال الأزمــات الدولية.

6 ــ تشجيع التسويات السلمية للصراعات الإقليمية و محاولــة أبــراز أهميــة الــدور الأمريكي في حل هذه المشكلات .

7 ــ ترسيخ التحول الديمقراطي و الرأسمالي في دول القوقاز.

وترصد بعض القوى في موسكو أن واشنطن ومنذ فترة بعيدة تسعى لأضــعاف النفــوذ الروسي في جمهوريات القوقاز الثلاث: جورجيا وأذربيجان وأرمينيا. والمعروف ان جميعهــا كانت جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وان روسيا لا تكف عن اعتبارها " منطقة مصــالح حيوية لها" لا يحق للناتو ولبنى الغربية الأخرى بسط النفوذ عليها، وتــرى موســكو أن هــذه المنطقة تؤثر بصورة مباشرة على جهودها الرامية لإحلال الاستقرار وفرض النظام في منطقة شمال القوقاز التي تنشط فيها الجماعات المسلحة وتنتشر بانحاءها أعمال العنف.

[1] نفس المرجع، ص. 301.

في الوقت نفسه تستخدم الولايات المتحدة الموقع الاستراتيجي لجنوب القوقاز لتشديد الضغط على إيران ولشد أزر عملياتها العسكرية في أفغانستان، وتنظر باهتمام بالغ أيضا إلى احتياطات النفط والغاز الكبرى في هذه المنطقة، وتراهن على ان بوسع هذه القدرات مساعدتها على خفض تبعيتها لمصادر الطاقة العربية.

وبرزت أذربيجان التي تمتلك احتياطات نفط كبيرة كلاعب رئيس في مشاريع الطاقة الكبرى. ففي أطار هذه المشاريع جرى بناء أنبوب نفط باكو تبليسي جيهان المار من خلال أراضي أذربيجان، وجورجيا وتركيا. وينظر الغرب لهذا الخط على انه خطوة هامة على سبيل تصفية احتكار روسيا صادرات النفط والغاز إلى أوربا.

ووسعت أمريكا حضورها بأذربيجان وتستعمل واشنطن إحدى مطارات باكو لتزويد الطائرات الأمريكية العسكرية بالوقود,وحصلت أيضا على تسهيلات لاستخدام المجال الجوي الاذري لتحليق طائراتها العسكرية إلى أفغانستان والعودة منها.[1]

- طبيعة العلاقات الروسية الأمريكية بعد الحرب الروسية ضد جورجيا

تلعب العلاقات التنافسية الروسية الأمريكية في منطقة القوقاز دورا أساسيا في بلورة الصورة التي ستتم عليها أعادة رسم الخريطة السياسية بعد الحرب الروسية مع جورجيا، وخاصة مع الدول المتاخمة لروسيا.

فالولايات المتحدة تؤيد البات كوسوفو في الاستقلال, فيما تقف روسا بحرارة الى جانب الصرب الذين يعارضون هذا الاستقلال ,والذين يعتبرونه انفصالا عن الدولة الأم صربيا.

كما تسعى الولايات المتحدة إلى إقناع أعضاء حلف الشمال الأطلسي من اجل ضم جورجيا الى الحلف كما تم في قمة الحلف التي انعقدت في بوخاراست . بيد أن المعارضة الألمانية الفرنسي حالت دون ذلك وذلك رغبة منها لوضع جورجيا تحت المظلة الأطلسية لعدة أسباب منها:

[1] فالح الحمراني ، مرجع سابق.

تحذير روسيا من تهديدها والتدخل بمسألتي ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية مما يشكل مساحة امنية في غاية الأهمية للردع الصاروخية الأمريكية في بولندا وجمهورية التشيك .وعلى هذا الأساس بنى بعض المحللين آراءهم في أن تكون واشنطن طلبت من تبليسي اختيار الرد الروسي في عهد الرئيس ديمتري مدفيديف والمدى الذي يمكنه الذهاب إليه على الصعيد اوسيتيا الجنوبية وابخازيا وذلك على سبيل القراءة الاستباقية للموقف الروسي في حالة إقامة الدرع الصاروخية في بولندا.[1]

إلا أن الرد الأمريكي على رد الفعل الروسي كان متخبطا وفاترا بعض الشيء في بداية الأزمة فقد اقتصر التحرك الأمريكي على التصريحات التي تباينت بين المرونة والشدة، إذ طلب الرئيس جورج بوش إعلان وقف فوري لإطلاق النار بين القوات الروسية والجورجية قائلا: أن الولايات المتحدة التي تجمعها علاقات وطيدة مع تبليسي تشعر بقلق عميق حيال ما يحصل حاثا موسكو على وقف قصف الأراضي الجورجية، وإعادة كل طرف لقواته إلى الوضع الذي كان سائدا كما دعت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس روسيا إلى وقف فوري للعمليات العسكرية في جورجيا ندعو روسيا الى وقف الغارات والهجمات الصاروخية على جورجيا واحترام وحدة أراضيها وسحب قواتها البرية المقاتلة هناك.

ويرى بعض المحللين أن هذه التصريحات لا تعدو في نظر الكثيرين أكثر من انقاد ماء الوجه بعد أن خرج الشعب الجو رجي يتساءل: أين واشنطن التي وعدت بمساعدة جورجيا والوقوف بجانبها ولربما كانت الصدمة من رد الفعل الروسي الذي لم يتوقع أن يكون بهذا المستوى من القوة والحسم، هي السبب في فتور الرد الأمريكي أو لربما يعود السبب إلى أن الولايات المتحدة رأت في الهجوم العسكري الروسي ضربة لجورجيا ردا على عملياتها العسكرية، وليس تحذيرا للغرب بشان استعادة موسكو قوتها.[2]

[1] ـ لمى مضر الامارت ، مرجع سابق ،2009 ،ص ص 321 ، 322.
[2] مرجع سابق ،2009 ،ص ص 321 ، 322.

المبحث الثالث: تقييم توجهات الإستراتيجية الروسية.

أن الإستراتيجية الروسية قد تحولت بعد مرور الفترة الأولى من التحول الديمقراطي، إلى ضرورة عدم الاستسلام و التبعية للغرب، حتى وان كان الهدف الأساسي منها هو إقامة رأسمالية روسية جديدة قادرة على الدخول في الساحة العالمية وحرية الأسواق، فالسياسة الخارجية الروسية توضح أن مأتم القيام به من تنوع في ترتيب الأولويات لهذه السياسة قد بينت ضرورة عدم الخلط بين الأهداف الثابتة المستخلصة من الماضي و بين المتغيرات ذات الطابع ألظروفي وأهمية التركيز على ثوابت السياسة الخارجية الروسية.

المطلب الأول: مدركات التهديد لروسيا ما بعد الحرب الباردة.

لقد كان لدى الاستراتيجيين الروس حاجة واضحة إلى تطوير مفاهيم جديدة للمصالح السياسية والأمنية والاقتصادية والعسكرية للدولة الجديدة، وتقويم احتمالات التهديدات لتلك المصالح. وسنحاول هنا إعطاء صورة عامة عما يدركه مختلف القومين الاستراتيجيين الروس سواء المحافظين أو الليبراليين، إذ سنلاحظ اتفاق الطرفين على تهديدات إستراتيجية معينة حينا، وعدم اتفاقهم أحيانا.[1]

على الرغم، مثلا، من اعتراف المحللين الاستراتيجيين الروس بأن مخاطر المواجهة العسكرية بين الغرب وروسيا الاتحادية قد قلت بشكل كبي، فقد أشاروا في الوقت نفسه بالنقد إلى الطريقة غير الواقعية التي تعكسها وجهات نظر السياسيين والمتمثلة في أن المخاطر العسكرية التي تجابه روسيا الاتحادية قد تلاشت. و بهدف تبرير استمرار المؤسسة العسكرية الكبيرة في حقبة ما بعد الحرب الباردة، تذرعوا بأنه على الرغم من حقيقة تدني مخاطر المجابهة العسكرية مع الغرب فأنهم أصروا على وجود شكوك تراودهم تفيد بأن الغرب مازال يمثل خطرا يستدعى استمرار الجهد العسكري الجدي من جانب الدولة الروسية، ومن هذه المبررات :

[1] مرجع سابق.ص.113.

- أن الغرب مازال يحتفظ بحلف شمال الأطلسي رغم انحلال حلف وارسو وانسحاب القوات الروسية من شرق أوروبا.
- أن الولايات المتحدة لانتوي، ولا تخطط لتفكيك المنظومة الواسعة من القواعد العسكرية التي تحيط بروسيا الاتحادية منذ حقبة الحرب الباردة، بل أنها زادتها.
- أن الولايات المتحدة لم تقم بتقليص برنامجها للتطوير والتحديث العسكري.

وقد أكدت بعض التحليلات الإستراتيجية الروسية في هذه الفترة أنه رغم انتهاء الحرب الباردة، فما تزل الولايات المتحدة منهمكة بجهد عالي التكلفة لتوسيع قابليتها على سرعة انتشار قواتها المسلحة لتنفيذ عمليات(تعرضيه) واسعة النطاق في أي منطقة. ولقد كان بعض هؤلاء المحللين أكثر تحديدا في خلاصتهم التي كان مفادها أن استراتيجيات الولايات المتحدة السياسية والعسكرية وحلفائها الأطلسين تشكل تهديدا جديا للمصالح الحيوية للدولة الروسية الجديدة. فهم يرون أن الولايات المتحدة تمثل استعداد القوى للجوء إلى القوة العسكرية لتحقيق مصالحها الإستراتيجية، فالفعاليات العسكرية الأمريكية في العراق والصومال وأفغانستان، وتلك التي اتخذها حلف شمال الأطلسي في البوسنة ويوغوسلافيا في عقد التسعينات، قد ظهرت في التحليل العسكري الروسي كنتيجة مباشرة لانهيار توازن القوى الثنائي القطبية الذي عمل سابقا على تقييد حركة الغرب. لقد عبر بعض هولا عن رأي مفاده أن الإمكانية الجديدة للولايات المتحدة بالاشتباك مع عدو من مدى بعيد بأسلحة تقليدية ذكية أو بالغة الدقة، كما تم في عملية عاصفة الصحراء، مثلث حقبة جديدة ستقوم الولايات المتحدة فيها بإظهار إرادة اكبر باستخدام القوة العسكرية أو التهديد بها فضلا عن أن تفكك حلف وارس، مقرونا بإصرار حلف شمال الأطلسي على البقاء، قد شكل من وجهة نظرهم تحذيرا من أن روسيا وضعت في موضع جديد من الوهن يمكن بموجبه أن تشكل التهديد العسكري من الغرب من جديد ظن ويعود إلى الوجود بشكل سريع نتيجة تغير البيئة السياسية الدولية.[1]

[1] مرجع سابق.ص.113.

هنالك أيضا مجال أخر يثير قلق المقيمين الاستراتيجيين الروس ويتمثل في إستراتيجية الدفاع الصاروخي، فقد مالت تعليقاتهم إلى توصيف قيام الولايات المتحدة بتطوير إمكانية دفاع صاروخي جديدة بأنه جهد يهدف إلى حماية وتوطيد قدرة الولايات المتحدة على قيادة مواقع للقوى السياسية. وفي الوقت نفسه جادل هؤلاء المقيمون بأن قيام الولايات المتحدة بنشر منظومة الدفاع الصاروخي البالستي يهدف إلى تصفية السياسة الروسية الهادفة إلى ردم فجوة الخلل بينها وبين حلف شمال الأطلسي في القوات التقليدية وذلك بتخفيض العتبة النووية واستخدام عقيدة الرد المرن.

أن نشر الولايات المتحدة الردع الصاروخية ينظر إليه بأنه ينحو للحفاظ على التفوق الشامل للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في السلاح التقليدي، بل أن هؤلاء يذهبون أبعد من ذلك بتأكيدهم قدرة الولايات المتحدة على إطلاق دفاع صاروخي أمريكي جديد يهدف إطلاق سباق تسلح جديد.

ومن الأمور الأخرى المثيرة للقلق لديهم، إدراكهم السعي الأمريكي إلى تأمين تفوق عسكري في الفضاء فهم يؤكدون أن التفوق الحالي للولايات المتحدة في منظومة المعلومات المنطلقة من الفضاء كانت عاملا حاسما في قيادتها المؤثرة للحرب الافتراضية ذات الدقة العالية والمنطلقة من أماكن بعيدة.

وتحذر التحليلات الروسية الحديثة من أن الولايات المتحدة قد تكون قادرة، بمساعدة من رأسمال القطاع الخاص ومشاريع التعاون مع حلفائها، على انجاز أهدافها في تحقيق سيادة عسكرية في الفضاء . أن مثل هذا التفوق سيتضمن القدرة على تدمير أو تعطيل المنشآت العسكرية الروسية الموجودة في الفضاء، و حماية تلك التي تعود إلى الولايات المتحدة وحلفائها.[1]

وقد أظهرت التقييمات الإستراتيجية الروسية تهديدا أخر، يضاف إلى التهديدات الذي يسببه توسع حلف شمال الأطلسي شرقا و التأثير المؤذي للغرب في النزاعات الداخلية ضمن

[1] مرجع سابق.ص.115.

كومنولث الدول المستقلة ، إذ نظر إلى شمال القوقاز و المناطق اللاصقة أو المتاخمة في جنوب روسيا بأنها منطقة واهنة تفتقر إلى الاستقرار ومعرضة للنزاعات نتجـه انتشـار النزاعـات الانفصالية والحركات الإسلامية المتطرفة، أو الفوضى الإجرامية .

ويظهر في التعليقات العسكرية الروسية القائلة أن الوضع في القوقاز كان دائما يشـكل مشكلة بالنسبة إلى العسكريين الروس، وكان التعامل معه تاريخيا يتم بتكاليف كبيرة وتضحيات جمة وتؤكد هذه التعليقات دائما أن هذه المنطقة كانت على الدوام منطقـة أو حلبـة صـراع استراتيجي بين روسيا والقوى الأجنبية. وينظرون إلى النزاع أو النزاعات التي نشبت في هـذه المنطقة بعد الحقبة السوفيتية باعتبارها المرحلة الأحدث في هذا النمط التاريخي.

وعلى الرغم من انه قد تم النظر إلى الصين بوصفها شريكا إستراتيجية في الإستراتيجية الدبلوماسية المتعددة الأقطاب، فان احتمال نشوب نزاع جديد مع الصين قـد تـم أخـذه بعـين الاعتبار من جانب المسئولين العسكرية، وأن ليس بصورة دائمة . لقد حذر احد التحليلات مثلا من أن هنالك في العلاقات الدولية المعاصرة العديد من الدول الجاهزة لتنفيذ سياسات (التكديس الاثني) على جيرانها للتخلص من احتمالات الكارثة الديمغرافية وقد تم تصوير هذه المخـاطر بأخذ حقيقة أن ما لا يقل عن 200 ألف صيني يعبروا كل عام الحدود الروسية المتاخمة للبحـر في الشرق الأقصى. وفي حالة مشابهة، ابدى تحليل آخر هذا التحذير من التهديدات التي تواجهها روسيا.[1]

وقد حذر كثير من الاستراتيجيين أيضا من حزمة نزاعات إقليمية تتعلق بروسيا و يمكن أن تقود إلى نزاعات جدية، وأن معظم النزاعات التي يشار أليها حاليا تتعلق بالنزاع مع اليابان بشان جزر الكوريل والنزاع مع النرويج بشان الحدود البحرية على بحر بارينتس وحالة عـدم الاتفاق الحالية مع الدول الأخرى المشاطئة لبحر قزوين على ترسيم حدود السيادة في موارد هذا البحر لقد حددا لمحللون الاستراتيجيين أن إمكانية قيام ألمانيا بالتأثر بالـدعوات التـي تثيرهـا

[1] مرجع سابق.ص.ص.115،116.

الدوائر المتطرفين هذه فنلندا إلى مطالبة روسيا بإعادة الأقاليم الكاريلية التي خسرتها فنلندا خلال الحرب السوفيتية ــ الفنلندية (1939 ــ 1940).

وقد أشارت التعليقات أيضا إلى مطالبات و تهديدات أخرى متطرفة قد تبدو أو تنطلق من كل من ليتوانيا و بولندا و سلوفاكيا و هنغاريا ورومانيا، بقدر ما يتعلق الأمر بالمناطق التي أضيفت في عهد الاتحاد السوفيتي إلى كل من بيلاروسيا وأوكرانيا و مولدا فيا الحالية وتلك المحتملة باعتبارها ناشئة عن حالة الضعف السياسي والعسكري الراهنة في روسيا .[1]

المطلب الثاني: العقيدة الإستراتيجية الروسية.

تتجه روسيا إلى تغييرات عميقة في عقيدتها الدفاعية؛ حيث ستعتبر الولايات المتحدة والناتو الخطر الرئيسي المحتمل، ما يستلزم ذلك وقف التعاون في التسليح والتنسيق العسكري والأمني وعودة إلى المربع الأول مع الدول الغربية.

إن التفكير في أن الولايات المتحدة الأمريكية تتعمد إتباع إستراتيجية تهدف إلى إضعاف روسيا وإنشاء مجال حيوي غربي في عموم أوروبا، ومنطقة البحر الأسود، وما وراء القوقاز وآسيا الوسطى، قد ازدادت صوابيته بعد عام 1992 و كمثل مبكر على خط التفكير التحليلي هذا ما ظهر في المجلة البحرية مورسكوي سبورنيك في أغسطس 1992، حين كانت التوجهات السياسية الروسية المؤيدة للتوجه الأطلسي في أعلى حالاتها.

أن المعنى الأساسي في التحويرات التي تعرضت لها سياسات الولايات المتحدة الأمريكية ودول حلف شمال الأطلسي وفق ما ذهب إليه المحللون هو الاستفادة القصوى من ضعف روسيا بهدف تقوية وتوسيع المجال التأثيري للغرب في الساحة العالمية، ولقد حذرت هذه التحليلات من أن الولايات المتحدة وحلفاءها يمارسون الضغط باتجاه زيارة اعتماد روسيا على المساعدات الغربية مع احترام المصالح الغربية في الوقت نفسه، وعلى هذا الأساس جرت في

---

[1] فلاديمر بوتين، **روسيا والعالم المتغير.** متوفر على الرابط التالي : http://www.voltairenet.org/article173054.html

الصيغة الأولية للعقيدة الإستراتيجية التي صدرت عن وزارة الدفاع الروسية في مـــايو 1992، الإشارة إلى أن هناك ثلاثة مصادر تهديد رئيسة مواجهة إلى الأمن القومي الروسي وهي :

أ. الغرب الذي مازال يمثل مصدرا للتهديد الخارجي للأمن الروسي من زوايا عديدة، ابرزها استمرار البناء العسكري لحلف شمال الأطلســي في أوروبا و استمرار الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأقصى ومناطق أخرى عديدة حول روسيا، علاوة علـــى احتمـــال توظيـــف المساعدات الاقتصادية الغربية في الضغط سياسيا.[1]

ب. الاضطرابات القادمة من عالم الجنوب، والمتمثلة أساســا فـــي عـــدم الاستقرار السياسي، وتنامي القدرات العسكرية للكثير من دولة، بمـــا ينطوي عليه ذلك من مخاطر الانتشار النووي والإرهاب النووي.

ت. احتمالات نشوب اضطرابات داخل رابطة الكومنولث او في روســيا ذاتها الأمر الذي قد يستوجب تدخلا عسكريا روسيا، لاسيما في حالة انتهاك الحقوق المدنية للأقليات الروسية في الكومنولث، أو دخول أي من تلك الدول في ترتيبا امنية مع قوى أجنبية.[2]

وبدأت التحليلات ذات العلاقة بالتهديد والعقيدة الملائمة تظهر بحدود عـــام 1993 فـــي مجلة وزارة الدفاع، مرتكزة على علم الجيوبوليتك لإسناد الاستنتاجات القائلة أن نهاية الحـــرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي سيؤديان إلى زيادة التهديد العدواني للغرب بدلا من تلاشـــيه، و تقليديا يؤكد مثل هذه التحليلات أن جهود الولايات المتحدة وحلفائها في حلف شـــمال الأطلســـي لتوسيع هيمنتهم وتأثيرهم نحو الشرق حتمتها العوامل الجيوبوليتيكية.[3]

وأن هذا التوسع يتوقع منه إن يتزايد في ظل الضعف الروسي الداخلي، وأن الخشية قد بدت واضحة بين المحللين الروس في هذه المرحلة من أن السياسة الأطلسية لا تعكس فقط الفشل

[1] لمى مضر الامارة،مرجع سابق.ص.119.
[2] نفس المرجع.119.
[3] كمال مساعد، "عقيدة عسكرية جديدة : الناتو والولايات المتحدة أعداء"،جريدة رأي،ع.2419،18-1-2007.

في الاعتراف بالطبيعة الحقيقة للتهديد المستمر الذي تسببه الولايات المتحدة لروسيا، بـل إنهـا تسعى أيضا إلى تدمير الروح الوطنية والمعنوية الروسية، وإعاقة مهمـة إعـادة بنـاء القـوة الروسية. إلا أن المخاوف المشار إليها آنفا لم تجد لها تعبيرا واضحا في المرتكزات الأساسـية للعقيدة الروسية، التي تم إقرارها في نوفمبر 1993 وذلك يعود إلى عدة أسباب تمثلت فـي أن هذه الصيغة الأولية أغفلت الإشارات إلى التهديدات الداخلية، واكتفت بالإشارة إلـى احتمـالات عدم الاستقرار الداخلي في البلاد الأمر الذي كان محورا للجدل بين الاستراتيجيين الـروس، إذ طرح الخبراء العاملون في وزارة الخارجية الروسية والاصلاحيون الراديكاليون تقييما مختلفـا يؤكد أن روسيا لم تعد منذ نهاية الحرب الباردة تجابه تهديدات خارجيـة ذات بـال، وتتمثـل التهديدات الأكثر خطورة الماثلة أمامها في التهديدات الداخلية المنصبة أساسا في احتمال اندلاع حرب أهلية داخل الاتحاد الروسي، أو نشوب حرب بين روسيا ودول الكومنولث الأخرى، فيما يعني أن معضلة الأمن الروسي، من وجهة نظر هؤلاء الاصلاحيين، تتمثل في بقاء كيان الدولة ذاته، ومنع انشطار البلاد على أسس عرقية وإقليمية.

نتيجة لكل هذه الأسباب خضعت مدركات التهديد لمراجعة واضحة، وبدا ذلك جليا فـي الصيغة الأكثر حداثة للعقيدة الروسية التي أعلن بعض عناصرها في نـوفمبر 1993. وعلـى العكس من الجو السياسي السائد، ظلت حكومة يلتسن ملتزمة بسياستها الموالية للغرب التي عبر عنها سياسيا بـ(عقيدة السياسة الخارجية) فالإعلان الرسمي للعقيدة الروسية بينت أن (الاتحاد الروسي لا يعتبر أي دولة في العالم تمثل خصما أو عدوا)، وقد نصت هذه العقيدة أيضا علـى اعتبار الصراعات الإقليمية الصغيرة الحادثـة، أو التـي يمكـن أن تحـدث داخـل النطـاق الجيوبوليتيكي المحيط بالاتحاد الروسي، المصدر الأساسي لتهديد روسيا، علاوة على أن هـذه الصيغة انطوت على تقنين واضح لتدخل القوات المسلحة الروسية في الشؤون السياسية الداخلية في البلاد لحماية النظام الدستوري و تدعيم سلطة القيادة السياسية.[1] ومن ثـم، فـان الأهـداف السياسية العسكرية للقوات المسلحة الروسية باتت بمقتضى عقيدة 1993 أقرب إلى :

[1] لمى مضر الامارة، مرجع سابق، ص، 20.

- الدفاع عن امن روسيا وسياستها وحماية حدودها.
- حماية النظام السياسي والدستوري للبلاد.
- مواجهة النزاعات القومية الانفصالية داخل البلاد.
- حماية الأقليات الروسية في دول الاتحاد السوفيتي السابق.
- الحفاظ على الأمن والاستقرار في منطقة الكومنولث.[1]

وفي ضوء ما سبق، ظلت العقيدة الروسية في صيغتها الجديدة محتفظة بحق التدخل في الكومنولث بأسره، وان كانت العقيدة قد ضيقت قليلا من نطاق التهديد الذي كانت تحدده من قبل.

والدلالة الأكثر أهمية لهذا التطور تتمثل في أن العقيدة الجديدة تعكس نزوعا واضحا من جانب القيادة العسكرية الروسية لاستعادة السيطرة بأشكال جديدة على الدول الأعضاء في رابطة الكومنولث، بل تتكامل هذه النزعة مع اتجاه القيادة الروسية آنذاك نحو محاولة الاستحواذ على مكانة الدول الضامنة للأمن والاستقرار في منطقة أوروبا الشرقية بأسرها.

وفي المجال العسكري، تنحصر المصالح الروسية في حماية استقلالها وسيادتها ووحدة أراضيها، وحماية روسيا ضد أي عدوان خارجي عليها أو على حلفائها، وتهيئة الظروف لتطور الدولة تطورا سلميا وديمقراطيا.

أما مجالات التهديد لروسيا على الصعيد الدولي، ومجال الحدود، فقد حددته الوثيقة بـــ:

- خطر الكتل والاتحادات العسكريةـــ السياسية، وخاصة توسع حلف شمال الأطلسي شرقا.
- إمكانية ظهور قواعد عسكرية أجنبية وفوق عسكرية كبيرة بالقرب من الحدود الروسية.
- انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل نقلها.
- إضعاف عمليات الاندماج بين أعضاء كومنولث والدول المستقلة.

[1] مرجع سابق.ص.122.

- الادعاءات فيما يتعلق بأراضي الاتحاد الروسي.
- توسيع الدول المجاورة داخل الأراضي الروسية اقتصاديا وديمغرافيا ودينيا وحضاريا.[1]

كما تم تطبيق العقيدة العسكرية في القوقاز فقد كشف التدخل الروسي العسكري في جورجيا أن استفراد الولايات المتحدة بالعالم الذي استمتعت به في السنوات الـ 15 التي أعقبت انتهاء "الحرب الباردة" عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، في طريقه إلى الانتهاء، وأن النظام الدولي بصدد عملية تدريجية من شأنها إعادة التوازن فيه، فقد بدا أن روسيا انتقلت من مرحلة استعادة قدراتها وتعزيز سمعتها، إلى مرحلة التحرك على الأرض لتكريس أمر واقع جديد، تدخل فيه موسكو طرفا رئيسيا في المعادلات الإقليمية والدولية، عبر التأكيد بأنها دولة كبرى تملك كل الإمكانيات السياسية والعسكرية للتحرك على أكثر من جبهة من أجل حماية مصالحها الوطنية والإستراتيجية، في وقت بدت الولايات المتحدة عاجزة عن مساعدة جورجيا واكتفائها بتصريحات سياسية بأنها وجهت تحذيرات قوية لروسيا، الأمر الذي يكشف عن حدود القوة الأميركية من ناحية وعن بروز القوة الروسية مرة أخرى.

ويرى خبراء أن الحرب الروسية الجورجية لم تندلع نتيجة خطأ في مدركات الرئيس الجورجي ميخائيل سكاشفيلي، سواء في إدراكه لطبيعة الرد الروسي أو تقديراته ومراهناته للموق الأميركي والغربي أو لطبيعة الأوسيتيين أنفسهم، طالما أن موسكو كانت تبحث عن أي استفزاز أو دافع لإظهار قوتها على الساحة الدولية، ذلك أن بوتين الذي وصف انهيار الاتحاد السوفيتي بأنه أكبر كارثة جيواستراتيجية في القرن العشرين، سعى إلى إظهار المكانة الروسية الساعية إلى استعادة مداها الحيوي واستعادة الهيمنة التي كانت تفرضها روسيا على المنطقة الأوروبية الآسيوية (أوراسيا). لذلك لا يمكن تفسير التدخل العسكري الروسي في جورجيا على أنه مجرد رد على تطلعات جورجيا للالتحاق بعضوية الناتو، أو بكونه رد فعل على الإعلان عن استقلال إقليم كوسوفا عن صربيا الحليفة لروسيا، بل الأرجح – وفقا للكثير من الخبراء

[1] مرجع سابق.ص.ص.122،130.

والمحللين السياسيين – أن يكون ذلك هو الثورات الملونة التي شهدتها كل من أوكرانيا وجورجيا في عامي 2003 و 2004 وما أعقبهما من استبدال الحكومات الصديقة لموسكو فـــي هـــاتين الدولتين، بأنظمة سياسية جديدة موالية للغرب، الأمر الذي يثير حساسية سياسية لباقي الأقاليم في روسيا ومنذ ذلك الحين عقد بوتين العزم على وقف هذا التوجه لجاراتيه السوفيتيتين الســـابقتين، ولم يكن يتوقف طموح بوتين على منع أوكرانيا وجورجيا من الانضمام للناتو وحسب، بل كان يطمح في ممارسة نفوذ افتقدته روسيا منذ تفكك الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينات من القرن الماضي.[1]

المطلب الثالث: الفوارق الإستراتيجية السوفيتية الســـابقة و الإســـتراتيجية الروسية.

بغض النظر عن عناصر ومكونات الجدل حول أولوية الأمن، والمخـــاطر التـــي قـــد يتعرض لها الاتحاد الروسي، فان الأمر المهم هنا هو استعراض ملامح التفكيـــر الاســـتراتيجي الجديد وعناصره كمقدمة لمعرفة عناصر الثبات و التغيير في الفكـــر الجديـــد قياســـا بـــالفكر الاستراتيجي القديم، وذلك بغرض الوصول إلى استنتاجات عامة عن حقيقة وجود أو عدم تغير في الفكر الاستراتيجي الحالي.

ويمكننا فهم التغيير في الإستراتيجية الروسية الجديدة، وأبعاد هذا التغير عنـــدما نقـــوم بعملية مقارنة للقضايا الجديدة مع القضايا المماثلة التي كانت متبناة في الإستراتيجية الســـوفيتية السابقة. وتهدف مثل هذه المقارنة أولا إلى تعيين المصادر الرئيسة التي أصابها التغير أكثر من غيرها من مصادر الفكر الاستراتيجي الروسي بشكل عام، ذلك بان الإستراتيجية السوفيتية كانت قد صيغت في ضوء المبادئ المستقاة من ستة مصادر رئيسة تمثلت بـــ :

- الآراء الحربية النظرية للماركسية ـــ اللينينية.
- الإستراتيجية السياسية للحزب الشيوعي السوفيتي .

[1] محمد سعيد،" محللول التدخل الروسي في جورجيا يعكس تنامي الشعور القومي المناهض لأمريكا"،الدستور،ع.17571،2016.

- خبرة الحروب السابقة .
- الأفكار النظرية لعلم الحرب البرجوازي .
- مساهمات المفكرين العسكريين و الاستراتيجيين الروس في العهود القيصرية.
- التطورات في التكنولوجيا العسكرية.[1]

ومن ثم فان التغيير الذي شهدته الإستراتيجية الروسية في الوقت الراهن يعود في احد أهم جوانبه إلى استغناء روسيا عن النظرية الماركسية الينينية و الإستراتيجية السياسة للحزب الشيوعي كمصادر للفكر الاستراتيجي. ومن هذا المنظور، يمكن الإشارة على وجه التحديد إلى المجالات الرئيسة للتغير في الإستراتيجية الروسية التي تتمثل في :

- التخلي عن المفهوم الماركسي اللينيني للحرب في البيئة الدولية ، واعتماد مفهوم جديد بدلا منه، فالنظرية الماركسية اللينينية كانت تنظر إلى الحرب بوصفها حالة حتمية بين النظامين الاجتماعين الرأسمالي و الاشتراكي، و كظاهرة اجتماعية تاريخية تحدث في مرحلة معينة من تطور المجتمع الطبقي.
- انتهاء عصر المواجهة القطبية، و التخلي عن حالة الصراع الدولي، والدعوة إلى إقامة عالم متعدد الأقطاب، والتعاون في مجال مكافحة الإرهاب والمتطرفين الإسلاميين.
- التراجع عن المواجهة الإستراتيجية العالمية، فالإستراتيجية الروسية أصبحت تتبنى أهدافا متواضعة قياسا بالإستراتيجية السوفيتية القديمة، إذ تبنى الاستراتجيين السوفيت في عقود الحرب الباردة مفهوما عالميا للأمن، امتد إلى خارج حدود الاتحاد السوفيتي المباشرة . وتوسع ليشمل الدول الأعضاء في حلف وارسو بل امتد أيضا إلى الحلفاء و الأصدقاء في المنطقة العربية و إفريقيا و آسيا وأمريكا اللاتينية، أما في الوقت الراهن فان مفهوم الأمن الروسي

[1] لمى مضر الامارة، مرجع سابق.ص.135.

يقتصر على امن الأراضي الروسية المباشرة والنطاق الجيوبوليتيكي المحـيط بها، الذي يضم الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي .

- تعديل مبادئ بناء القوات المسلحة الروسية، ففي ظل الحقبة السـوفيتي كانـت أعمال بناء القوات تعتمد على دراسة إستراتيجية العدو المحتمـل، واتجاهـات تطور قواته المسلحة، وطبيعة الحرب التي ينوي شنها، امال في الفترة الراهنة، فان أعمال بناء القوات المسلحة باتت هادفة فقط إلى تحقيق الحد الأدنـى مـن الترتيبات الأمنية الدفاعية، بما ينطوي عليه ذلك من خفض أعمال البناء.[1]
- ألتسليحي أيضا، وذلك من خلال التواصل إلى درجة من المواءمة بين الأسس التخطيطية للقوات المسلحة الروسية و التطورات العلمية والتكنولوجية الراهنة.
- الإعداد لمواجهة الحرب المحلية والإقليمية، فالإستراتيجية السوفيتية لـم تكـن تعطي اهتماما كافيا لعمليات الإعداد للدخول في عمليات قتالية ذات طبيعة محلية وإقليمية، وذلك في غمرة انشغالها في المواجهة الكونية الواسعة النطـاق ضـد المعسكر الغربي، علاوة على إن مثل هذه النوعية من الحب لم تكن شائعة إلى حد كبير في ذلك الوقت، وفي الوقت الراهن أصبح العسكريون الروس يدركون أن لمثل هذه الصراعات منطلقها الخاص .
- تغير القواعد الحاكمة للتصعيد النووي، حيث كان من المحتم ان أي حرب تنشب بين الاتحاد السوفيتي و الطتلة الشرقية من ناحية ، و الغرب من ناحية أخـرى في فترة الحرب الباردة سوف تكون حربا صاروخية نووية، و تكـون قاعـدة أولويتها وأساسها الاستخدام المركز للصواريخ النووية بواسطة جميـع أفـرع القوات المسلحة ولقد انطوى الفكر الاستراتيجي الروسي الجديد على تحول بالغ الأهمية تمثل في التخلي عن التعهد الخاص بعد البدء فـي اسـتخدم الأسـلحة النووية، وهو المبدأ الذي كان قد أعلنه بريجينيف في عام 1982. وقد نظـرت

[1] مرجع سابق.ص.135.

الإستراتيجية الجديدة إلى الحرب النووية بوصفها امتداد للحرب التقليدية الواسعة النطاق.[1]

إن التغير في استخدام الأسلحة النووية وإستراتيجيتها يمكن إيضاحه بسبب الضعف المتزايد في القوات التقليدية، والمهمات المتزايدة لهذه القوات بسبب الظروف المستجدة ما بعد الحرب الباردة سواء داخل روسيا أو في الجمهوريات السوفيتية السابقة، إلا أن ذلك لم يقدم بأي حال تغيرا جذريا في الإستراتجية الروسية. من جانب آخر لن ينظر الروس إلى الحرب التي قد تنشب مع إحدى الدول على أنها مباراة صفرية تفرض الإزالة التامة للخصم، على نحو ما ذهب إليه الفكر الاستراتيجي السوفيتي القديم في فترة ما، بل ينظرون إليها على أنها مباراة مختلطة تخرج منها الدول المتحاربة محتفظة ببقائها العضوي على الأقل.

- احتواء العدوان و درء الحرب، فقد ركزت القوات المسلحة السوفيتية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على هدف احتواء العدوان، ولكن لم يكن من الواضح على وجه الدقة كيفية تحقيق هذا الهدف ومن ثم فان مبدأ احتواء العدوان وهو المبدأ الذي جرى التركيز عليه في الإستراتيجية الروسية.
- الاهتمام بقضايا الانتشار الاستراتيجي، لاسيما قضايا الانتقال بالقوات من حالة السلم إلى حالة الحرب.

وفي النهاية، يمكن أن نقول أن ما تتطلع روسيا الاتحادية إليه يندرج على مستويات ثلاثة:

1. تأكيد خروج روسيا من ماضيها الشيوعي إلى غير رجعة.
2. حصول البلاد على الاستقرار من خلال تحقيق سياسة التنمية دون إبطاء.

[1] عمر كوش،**الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2009/6/27/%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d8%aa%d8%b

3. التحرك على الساحة الدولية من منطلق احتفاظ روسيا بمكانتها كقوة كبـــرى، حتى بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.[1]

[1] لمى مضر الامارة،مرجع سابق.ص.141.

خاتمة

مما سبق ذكره يتبين لنا ان روسيا قد ظلت عبر التاريخ، ولا سيما في شكلها السابق ضمن الاتحاد السوفيتي، تقوم بدور حيوي في إستراتيجية كثير من دول العالم الثالث، وعلى الرغم من أن عددا قليلا من الدول أو الحكام كان يرى في الإتحاد السوفيتي نموذجا مرغوبا فيه كنظام سياسي واقتصادي، فإن هذا البلد أدى دورا مهما جدا عل الساحة الدولية في أثناء الحرب الباردة، إذ كان القطب الثاني في عالم ثنائي القطبية.

إنه يعد تفكك الاتحاد السوفيتي بعد عام 1991، ومعاناة الدولة التي ورثته مشكلات جمة خلفها العهد السوفيتي أو ظهرت مع ظهور الدولة واستقلالها، وفرضها الوضع الدولي والإقليمي الجديد، إلا أن هذا الوضع تغير بعد أن أصبحت الظروف مواتية لروسيا الاتحادية لتعاود لعب دور حيوي وفاعل على الساحة الدولية.

فمنذ تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991 وظهور روسيا الاتحادية في إثر ذلك، بوصفها "وارثته الشرعية" من الناحية القانونية، وكونها أكبر الجمهوريات المستقلة من حيث المساحة والسكان والناتج القومي والقوة العسكرية، وروسيا تسعى إلى الحفاظ على مركزها كقوة عظمى، ولا سيما مع خسارتها الكبيرة في أفغانستان. فالكرملين الذي فقد سلطته على دول البلطيق، وضاعت منه ثروات الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى بعد أن استغلها عقودا طويلة، وانفض عنه حلفاؤه في منظومة الدول الاشتراكية، يحاول اليوم إعادة صوته ليؤكد أنه موجود، وأن لديه القوة لإثبات هذا الوجود.

وتعد روسيا الاتحادية واحدة من القوى الدولية الأساسية على المسرح الدولي، ليس فقط لأنها تعتبر الوارثة الرئيسية للاتحاد السوفيتي السابق، بل لأنها تتوفر على مجموعة من عوامل القدرة التي تؤملها للقيام بهذا الدور حاليا وفي المستقبل، فإذا ما حاولنا النظر إليها من زاوية عناصر قوة الدولة، سنجد أنها تتوفر على موارد هائلة لم تستغل بعد، وستكون إذا ما استغلت دافعا رئيسيا لجعل روسيا الاتحادية واحدة من أغنى دول العالم.

إنه ومن خلال ما سبق التطرق إليه حول المصالح الجيوبولتكية لروسيا في إقليم القوقاز، يتبين لنا أن الإستراتيجية الروسية ع ارتكزت لى جملة من السمات والتي نلخصها فيما يلي :

أ – الواقعية: تتسم الإستراتيجية الروسية بنوع من الواقعية من خلال سعيها إلـــى بنـــاء سياسة براغماتية، عن طريق المزيد من التباعد عن الحجج الأيديولوجية ، التي كـــان التحـــرك الدبلوماسي السوفيتي يقوم عليها في الماضي القريب مع إحـــلال محلهـــا مبـــررات سياســـية واقتصادية أكثر وضوحا وتعبيرا عن تطلعات روسيا المستقبلية.

ب – براغماتية القيادة الروسية: نستطيع أن نتعرف إلى طبيعة هذه القيادة مـــن خـــلال استشفاف القيم الجديدة التي بدأت روسيا تعمل بها، إذ عمد رؤساء روسيا إلى إظهار وتأكيد قطع علاقات بلادهم بالماضي الشيوعي والتخلي عن كافة ركائز الحرب الباردة، بما فيها الإيديولوجيا الماركسية البينينية، فقاموا بتحجيم نشاط الحزب الشيوعي في روسيا.

ج – ديناميكية الإستراتيجية الروسية: تبدو ديناميكية (فاعلية) الإســـتراتيجية الروســـية واضحة من خلال ما يضمن بصورة جدية عدم العـــودة إلـــى الـــوراء منـــذ تـــواري عصـــر الأيديولوجيات المتصارعة على الساحة الدولية أو غياب الأيديولوجيا الشيوعية (الماركســـية – البينينية) على الأقل.

د – المنافسة الحرة: وضع هدف جديد للسياسة الروسية، وهو هدف المنافســـة علـــى الأسواق، حيث أحل الدستور الجديد هدف المنافسة على الأســـواق العالميـــة محـــل المواجهـــة الأيديولوجية.

أما في ما يخص الإستراتيجية الروسية تجاه دول القوقاز فقد سعت روسيا إلى تعزيـــز نفوذها السياسي مع القادة المحلين و توسيع صلتها التجارية و المالية مع دول المنطقة و تقـــديم أشكال المساعدة و الدعم و هذا في جوهره يدخل ضمن الصراع للسيطرة على توزيـــع مـــوارد الطاقة ،كما تسعى أيضا منذ التسعينات إلى ممارسة الهيمنة القصوى على تدفق النفط و الغـــاز الطبيعي إلى الأسواق العالمية و تحديد الطرق التي ستمر عبرها الأنابيب إلى العالم الخـــارجي

علاوة على ذلك فأنها تعتبر القوقاز بمثابة دائرة جيوسياسية هامة في إعادة توزيع السلطة بعــد الحرب الباردة .

وقد اتبعت روسيا استراتيجيه محكمة في مواجهة الاندفاعية الأمريكية نحو هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة بالنسبة الامنها القومي و مصالحها الاقتصادية و الاستراتيجي،خاصــة مــع تواجد قوات عسكرية غير روسية لأول مرة في المنطقة ، حيث تعاملت بعصبية ظاهرة خــلال العقد المنصرم مع محاولات التقدم الأمريكية في المنطقة تجلت في تصريحات قادتها الرافضــة لهذا التقدم و اتسمت بنبرة حادة أحيانا كرست أجواء الحرب الباردة خصوصــا علــى الجبهــة النفطية .

وقد ارتبطت الاستراتيجية الروسية المطبقة في القوقاز بمجموعة من الاهــداف، ولتــي تاتي في مقدمتها الاهداف الاقتصادية و المتمثلة في السعي لسيطرة على ســوق الطاقــة فــي المنطقة، وتليها الاهداف السياسية ولتي تعبر معظمها اهداف كامنة مثل سعيها الى التدخل فــي الشؤون الداخلية الجورجية بسبب مولات الاخيرة للأوليات المتحدة الامريكية.

أولا : باللغة العربة.

1ـــ قائمة الكتب:

1. السماك محمد أزهر، **الجغرافيا السياسية:بمنظور القرن الحادي والعشرين بين المنهجية والتطبيق**(الأردن:دار اليازوري العلمية،2013).
2. السيد الشخ لطفي، **الصراع الأمريكي والروسي على آسيا الوسطى**(مصر:دار الأحمدي للنشر،2006).
3. العبودي محمد بن ناصر، **بلاد العربية الضائعة:جورجيا**،د.در ن، د.ب.ن ،د.س. ن.
4. العيسوى فايز محمد،**الجغرافيا السياسية المعاصرة**(مصر:دار المعرفة الجامعية،2008).
5. الهيتي صبري فارس، **الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية**(عمان:دار صفاء للنشر والتوزيع،2000).
6. حداد معين،**الجيوبولتيكا:قضايا الهوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسة**(لبنان:شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،2006)
7. دوغين الكسندر،**أسس الجيوبولتيكا:مستقبل روسيا الجيوبولتيكي**،ترجمة عماد حاتم(لبنان:دار الكتاب الجديد المتحدة،2004)
8. سلطان جاسم،**الجغرافيا والحلم العربي القادم:الجيوبولتيك عندما تتحدث الجغرافيا** (لبنان:تمكين للأبحاث والنشر،2013).
9. محمود عبد الرحمان،تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي (لبنان: دار النفائس،1999).

10. مضر الامارة لمى، **الاستراتييجية الروسية بعد الحرب البـــاردة وانعكاســـاتها علـــى المنطقة العربية،** (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية)

2ــ الدوريات:

1. عواد عامر هشام،"**التحول في العلاقات الروسية الأمريكية**". المجلـــة العربيـــة للعلـــوم السياسية، ع.26،مارس2010.

2. صندل جواد،"روسيا وجورجيا،النفط والجيوستراتيجية:منظور جغرافي سياسي"،مجلـــة ديالي ،ع.41، 2009.

3. قمورية أمين،"جورجيا نسيت الجغرافيا وسقطت في التـــاريخ"، مجلـــة الـــرأي الآخـــر اللبنانية،ع.2008،25.

3ــ الجرائد:

1. العبيـــدي قـــيس،" الصــــراع الروســـي الجـــورجي فـــي اوســـيتيا الجنوبيـــة نظـــرة جيوبولتيكية"،الحوار المتمدن،ع.2460، 9ــ11ــ2008.

2. ختاوي محمد ،"حرب القوقاز و الصراع النفطي فـــي المنطقـــة"، الحـــوار المتمـــدن، ع.11،2431-10-2008.

3. خشيب جلال، التوجهات الكبرى للاستراتيجية الأمريكية بعد الحـــرب البـــاردة،الحوار المتمدن،ع.2012،3818.

4. ع.طلال، "خطوات روسية لإضعاف النفوذ الأمريكي في القوقاز ورغبة في الحد مـــن غطرستها"، جريدة الوحدة السورية،ع.2008،6933.

5. عبـــد الكـــريم صـــالح المحســـن،" القوقـــاز صــــراع براميـــل الـــنفط"،صـــحيفة المثقف،ع.2012:2011.

6. محمد سعيد،" محللول التدخل الروسي في جورجيا يعكس تنامي الشعور القومي المناهض لأمريكا"،الدستور،ع.2016،17571.

7. مساعد كمال، "عقيدة عسكرية جديدة : الناتو والولايات المتحدة أعداء"،جريدة رأي،ع.18،2419ـ1ـ2007.

4ـ المذكرات:

1. ابو سمهانة عز الدين عبد الله، **الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الاوسط 2000-2008(دراسة حالة القضية الفلسطينية)**، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستر في العلوم السياسية، غزة، جامعة الازهر،2012

2. عباسي عادل،**السياسة الروسية تجاه الجمهوريات الاسلامية المستقلة : فرصها وقيودها**، مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة (2007).

3. مدوخ نجاة، **السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة: دراسة حالة سوريا (2010-2014)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية،فرع علاقات دولية واستراتيجية، بسكرة جامعة محمد خيضر كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية،2015.

5ـ المحاضرات:

1. عماد هادي عبد علي، **التوسع السوفيتي في منطقة البلطيق**، 1939 ـ 1941، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات.متوفر على الرابط التالي:

http://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/kufa_arts/article/view/258/pdf_90

2. زوبيدة محسن، بن قرينة محمد حمزة، "جيوبولتيك البترول في العالم"جامعة قاصدي مرباح، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، ورقة (2013ـ2014)، متوفر على الرابط التالي:

https://www.google.fr/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwii39zb46LNAhWMzRoKHfl1DgUQFggMAA&url=http%3A%2F%2Felearn.univ-ouargla.dz

6ـ التقارير:

1. أذربيجان، تقرير منظمة الفاو. متوفر على الرابط التالي:

http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/AZE/AZE-CP_ara.pdf

2. أرمينيا،تقرير منظمة الفاو.. متوفر على الرابط التالي:

http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/arm/ARM-CP_ara.pdf

3. جورجيا، تقرير منظمة الفاو. متوفر على الرابط التالي:

4. جمهورية أرمينيا،تقرير مجلس النواب(عمان: مركز الدراسات والبحوث التشريعية،2014).

7ـ المواقع الالكترونية :

1. احمد علي،،**حرب انابيب الغاز العالمية بين المصالح و الهيمنة**. متوفر على الرابط التالي:
http://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A8

2. **آسيا الوسطى والقوقاز تحت الاستعمار الروسي**. متوفر على الرابط التالي:

http://islamstory.com/ar/%D8%A2%D8%B3%D9%8A%D8%A7-

3. الجزيرة نت، **بوتين وحلم العودة إلى المياه الدافئة في المتوسط والأطلسي**. متوفر على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/12/6/

4. الحمراني فالح، روسيا وأمريكا: **اشتداد التنافس لبسط النفوذ علـــى القوقـــاز**، البوابـــة الأرمنية في الشرق الأوسط. متوفر على الرابط التالي:

http://www.azad-hye.org/article.php?op=details&id=411

5. الخوري لور، **غاز روسيا مفتاح نفوذها**. متوفر على الرابط التالي:
http://al-akhbar.com/node/220742

6. الظرافي أحمد، **الحروب الروسية الصليبية ضد المسلمين في القوقاز**.متوفر على الرابط التالي:

http://www.mahaja.com/forum/showthread.php?5558-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9

7. الفقي مصطفى، **الدب والمياه الدافئة**. متوفر على الرابط التالي:

http://www.almasryalyoum.com/news/details/826833

8. **القوقاز من منتصف القرن الثامن عشر الى بدايات القرن العشرين**، متوفر على الرابط التالي:

http://sjoseph.ucdavis.edu/ewic/ewic-arabic-translation/all-files/caucasus.pdf

9. المديني توفيق، **دواعي الحرب الروسية-الجورجية في اوسيتيا الجنوبية**. متوفر علـــى الرابط التالي:

http://www.turess.com/alwasat/11615

10. المرهون عبد الجليل زيد، **اتجاهات سوق الغاز الطبيعي**. متوفر على الرابط التالي: http://www.alriyadh.com/1071002

11. المرهون عبد الجليل، العلاقات الروسية الخليجية. متوفر على الرابط التالي:

http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/1caafc3d-d17e-4dda-bdd7-a734af58b7b4

12. باسل الحاج جاسم، **هل موسكو قادرة على تحمل حرب جديدة في القوقاز**، مركز سام للدراسات الاستراتيجية. متوفر على الرابط التالي:

http://samstudies.com/%d9%87%d9%84%d9%85%d9%88%d8%b3%d9%83%d9%8-

13. بدر عبد الملك، **الدب الروسي يسبح في المياه الدافئة**. متوفر على الرابط التالي:

http://www.albayan.ae/opinions/1171288215051-2007-02-20-1.760012

14. بوتين فلادمير، **روسيا والعالم المتغير**. متوفر على الرابط التالي :

http://www.voltairenet.org/article173054.html

15. **تاريخ العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية**. متوفر على الرابط التالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9

16. **تحليل استراتيجية النفط . متوفر على الرابط التالي:**

http://www.ru4arab.ru/cp/eng.php?id=20050119172228&art=20050130121630

17. **جورجيا،معلومات عامة،** متوفر على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/news/international/2007/11/8/%d8%ac%d9%88%d8%b1%d8%ac%d9%8a%d8%a7-%d9%85%d8%b9%d9%84%d9%88%d9%85%d8%a7%d8%aa-%d8%b9%d8%a7%d9%85%d8%a9

18. عامر ريسان، بداية العلاقات بين العراق والاتحاد السوفياتي. متوفر على الرابط التالي:

http://almadasupplements.com/news.php?action=view&id=14289

19. عبد الجبار مرفت، **الشيوعية،** متوفر على الرابط التالي :

https://saaid.net/daeyat/mervat/69.htm

20. عدول محمد، الاتحاد السوفيتي...الاشتراكية والشيوعية الزائفة، متوفر على الرابط التالي:

https://mohammededdoul.wordpress.com/2012/03/22/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-

21. كوش عمر،**الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة.** متوفر على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2009/6/27/%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d8%aa%d8%b

22. لورا محمود،**الجيوبولتيك:جغرافية السياسة أم استراتيجية الساسة،** متوفر على الرابط التالي:

http://www.al-binaa.com/?article=19801

23. محمد حمزة علوان،**الأسس والمفاهيم لعلم الجيوبولتيك**، متوفر على الرابط التالي:

http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/379

24. مركز الجزيرة للدراسات. مصباح الله عبد الباقي، **آسيا الوسطى والقوقاز الأهمية الاستراتيجية والواقع السياسي والاجتماعي**،2013. متوفر على الرابط التالي:
http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2013/09/2013924103853454636.html

25. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، **أبعاد التدخل الروسي في جورجيا**. متوفر على الرابط التالي:

http://wetpaint.ecssr.com/Kentico82/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-
%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%86%D8%A9/%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%AF-

22 . مفتي محمد أحمد علي، **نماذج السياسة الخارجية النسق العقدي السفياتي**، متوفر على الرابط التالي :

http://www.alukah.net/culture/0/65924/

23 . هويدي فهمي ، **المياه الدافئة وراء الصراع بين مويكو وأنقرة**. متوفر على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/12/7/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87-
%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A7%D9%81%D8%A6%D8%A9-
%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A1-

24 . **الأزمة بين روسيا وجورجيا: حرب الأيام الخمسة**. متوفر على الرابط التالي:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/GeorgRuss/sec01.doc_cvt.htm

ثانيا: باللغة الأجنبية:

1. Magasines :

1. Jallilosoltan Nader, le Caucas et les enjeux pétroliers caspienne,Afri,V2,2002.

2. Web sites :

1. guisnel jean **la geopolitique expliquée aux curieux.** disponible at :

   http://www.lepoint.fr/editos-du-point/jean-guisnel/la-geopolitique-expliquee-aux-curieux-06-05-2010-452146_53.php

2. Rosière Stéphane,**geographie politique, géopolitique et géostratégie : distinctions opératoires**,,2001.disponible at :

   http://www.persee.fr/doc/ingeo_0020-0093_2001_num_65_1_2732

3. http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/g%C3%A9opolitique/36712

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الملخص :

يعتبر علم الجيوبولتيك من العلوم الهامة التي تعبر عن الواقع المعاش حيث يقوم بتحليل الأهداف الإستراتيجية للدولة كما يقوم بحل المشكلات والأزمات الدولية وتحديد الدولة لعلاقتها الخارجية.

وتكمن أهمية الجيوبولتيك في كونه يعنى بالمجال الحيوي للدولة وفكرة الإقليمية و الصراع بين قوة بحرية و أخرى برية، فروسيا ومنذ القديم قد اهتمت بهذا المجال كونه يساعد في تحقيق مصالحها، فمن بين المناطق التي اهتمت بها روسيا هي منطقة القوقاز كونها منطقة غنية بالثروات الطبيعية كما أنها مطمع روسيا للوصول إلى المياه الدافئة وتكون بذلك مركز للتنافس الدولي، فروسيا تجد نفسها مسؤولة عن حفظ السلام والاستقرار في المنطقة، ومن بين أهم الدول التي تقع في إقليم القوقاز دولة جورجيا التي تعتبر منطقة إستراتيجية بفضل تضاريسها وثرواتها وخصائصها الجيوسياسية فهي تمثل معبرا لنقل الطاقة التي تصل من بحر قزوين إلى تركيا. إذا فروسيا قد اتبعت عدة سياسات وإستراتيجيات للسيطرة على منطقة القوقاز، حيث اتسمت هذه الإستراتيجية بنوع من الواقعية هدفت إلى بناء سياسة براغماتية.

Abstract :

Geopolitics is considered as an important science that expresses reality, where it analyses the strategic goals of the state it solves problems and international crises, also, the state could use it to determine its foreign relationships.

Geopolitics is important cause its being concerned with the vital domain of the state and regional ideas also conflict between navy and a ground force, Russia since long time ago has focused on this field cause it helps in achieving its interests, and one of the areas focused on by Russia, the Caucasus as a rich region in natural resources and it is the way for Russia to reach the warm waters and by that it became the center for international competition, Russia finds itself responsible for peacekeeping and stability in the region, and Georgia is among the most important countries which are located in the territory of the Caucasus Georgia is a very strategic area thanks to its topography, and geopolitical characteristics. It represent a conduit for the transfer of enery that reaches from the Caspian sea to Turkey. So Russia has a number of policies and strategy was characterized by a kind of realism aimed to build a pragmatic policy.